

أبو القاسم الآمدي وكتاب "الموازنة بين الطائفتين"

محمد علي أبو حمدة

رسالة قدمت لنيل درجة أستاذ في الآداب  
إلى دائرة اللغة العربية في الجامعة  
الأميركية في بيروت

أيلول ١٩٦٨

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Title:

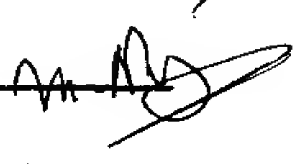

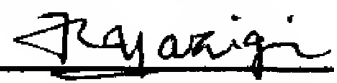

Al-Āmidī and his Book " Al-Muwazanah"

by

Muhammad Ali Abu Hamdeh

(Name of Student)

Approved:

|                            |   |                     |   |
|----------------------------|---|---------------------|---|
| <u>M.Y.Najm (Chairman)</u> | } | Advisors            |   |
| <u>Khalil Hawi</u>         |   |                     |  |
| <u>Kamal Yazigi</u>        |   | Member of Committee |   |
| <u>Fuad Tarazi</u>         |   | Member of Committee |   |
|                            |   | Member of Committee |   |

Date of Thesis Presentation: September 27, 1968.

## المقدمة

جعلت دراستي هذه في أربعة أبواب ، باب للآمدي وثلاثة  
لكتاب الموازنة . وقد ابتدأت الباب الأول بالحديث عن ثقافة القرن  
الرابع الهجري ونصيب الآمدي من هذه الثقافة، وبينت أن الآمدي  
نـ كما يبدو - لم يكن يجهل الكثير من معارف عصره المترجمة لكن  
هذه المعارف لم تكن ذات أثر كبير في تكوين ذوقه الأدبي . وقد  
أتبعت ذلك بالحديث عن حياة الآمدي وصلته بالعلماء والرواة . وبقدر  
ما تتضح لنا شخصية الآمدي الناقد، فإن الغموض لا يزال يكتنف حياته  
الخاصة . وقد توكلت في كشف بعض جوانب هذا الغموض على النثر  
المبعثر في كتب التراجم وبخاصة "الفهرست" و"معجم الأدباء"  
و"انباء الرواة" . أما ما أورده السيوطي في "بغية الوعاة" فيكاد  
يكون طبق الأصل عن الترجمة في "معجم الادباء" ، وكذلك ما أورده  
الخوانساري في "روضات الجنات" . وقد تناولت في الباب الثاني الحركة  
النقدية التي أثارها أبو تمام والبحثري مع مناقشة عمود الشعر ومذهب  
البدیع ، وبينت كيف أن نظرة المحافظين من خلال عمود الشعر ظلت  
تعتمد النتاج الشعري جزءاً من التراث ، وبذلك لم يكن عندها مكان

للمعبرة الفردية، وكان أخرى أن تستمد مقاييس عمود الشعر من خلال الروائع الشعرية مهما كانت قليلة . وقد تتبعت بعد ذلك خطة الآمدي في الموازنة التفصيلية بين الطائيين، وبيّنت أن مبدأ الآمدي في الموازنة يعتبر طفرة عالية بالنسبة لسابقه، لأنه قد وضع حدا لكل تلك المفاضلات الجزئية بين الشعراء، ولكن هذا المبدأ ظلّ يفتقر الى نظرة كلية في تراث الشعراء . وأتبعته ذلك بمقارنة بين أبي تمام والبحري ضمّنتها رأيي في الشعراء مع عرض موجز لتأليف الكتاب من حيث المنهاج والزمن والتبويب . وقد حاولت في الباب الثالث أن أعطي صورة واضحة للآمدي الناقد من خلال القضايا النقدية التالية: القديم والمحدث، اللفظ والمعنى، السرقات الشعرية . وقد بيّنت أن الآمدي كان ينظر الى الشعر الجيد بغض النظر عن رتبة قائله أو زمانه ، وأوضحت أن التناقض بين اللفظ والمعنى كانت أساس نظرة الآمدي الى الصياغة الشعرية، أما في قضية السرقات فبيّنت أن مفهوم الآمدي في التقليل من شأن السرقات الشعرية قد وجد صدى في مفهوم النقد الحديث ، وبيّنت أن ما يؤخذ على الآمدي في السرقات - شأنه في ذلك شأن الأقدمين - اقتصره البحث في البيت المفرد وعدم التفاته الى الطريقة والأسلوب . وقد حاولت في الباب الرابع تلخيص أثر كتاب الموازنة في الأدب العربي (مبتدأ) بالقاضي

الجرجاني ومنتهيا بابن الأثير) وأتبعت ذلك بخاتمة موجزة عن مبدأ الآمدي في موازنته ونتائج أحكامه فيها .

ان تصوّرنا لمكانة الآمدي النقدية في الأدب العربي وطبيعة المهمة النقدية الشاقة التي أراغ اليها في الموازنة بين الطائفتين في كل ما يتصل بشعريهما من جودة وإساءة وتبيين مذهبهما في القول ومقارنة ذلك بمذاهب الأوائل مع الاقتصاد في الحكم والتحرّج فيه على نحو لم يعرفه العرب من قبل، واعتقار كلّ ذلك الى دراسة موضوعية جامعة تقيم عمل الآمدي وتحدّد مواقفه النقدية كان الحافز لنا على اختيار هذا الموضوع . ولسنا نتهم الباحثين المحدثين بقصورهم عن التصور الصحيح لشخصية الآمدي النقدية وموازنته فعذرهم في ذلك واضح وهو ضالة الجزء المطبوع .

ولا بأس من الاشارة الى آراء بعض المحدثين فيما يختص بالآمدي وموازنته - مما ورد في تضعيف كتبهم :

يرى الأستاذ أحمد أمين في كتابه "النقد الأدبي" أن الآمدي قد طبق مبدأه في الموازنة في دقة تقريبا وكان من محاسنه أن أرجع تفضيل بعض الناس لأبي تمام وبعضهم للبحتري الى المزاج فخرج من مأزق المفاضلة بينهما

وجعلها في عنق القارئ ومزاجه . وأشار الدكتور محمد عبده عزام الى أن كتاب الموازنة يشهد بتعصب الآمدي على أبي تمام ( ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي - المقدمة ) ، والى مثل هذا الرأي ذهب الدكتور شوقي ضيف في مختلف كتبه . أما الأستاذ طه أحمد إبراهيم في كتابه " تاريخ النقد الأدبي عند العرب " فيرى أنه ما دام الآمدي رقيق الطبع يرى الشعر متعة حلوة لها رقة الماء أو روعة النسيم فالبحتري اذن ممن أصداء نفسه ومن هواها فهو مدفوع اليه دفعا ما من ذلك به . وقد أفرد الأستاذ محمد مصطفى هدارة في كتابه " مشكلة السرقات في النقد العربي " فصلا لآراء الآمدي في السرقات لكنه ظن خطأ أن كتاب " الموازنة " يتأخر في الزمن عن كتاب " الوساطة " فحرم الآمدي الكثير من الآراء النقدية التي هو صاحب السبق اليها .

ولعل أكثر هذه المؤلفات توقرا على دراسة الآمدي وموازنته هو كتاب " النقد المنهجي عند العرب " للدكتور محمد مندور الذي نوه بالآمدي كثيرا ولكنه اتجه بنوع خاص الى اثبات المنهجية في نقده ، وتجاوز ذلك الى الدفاع عن آراء الآمدي وخاصة فيما يختص منها بالصياغة الشعرية والغرض من شعر أبي تمام والازراء به . وقد اعتمد مندور في أحكامه على

الجزء النظري من كتاب "الموازنة" ولم يتتبع خطة الآمدي في الموازنة التطبيقية بين الشاعرين وقد صرح نفسه بأن حكمه على كتاب الموازنة ليس نهائيا مادام جزء كبير منه لم ينشر.

هذا وقد اعتمدت في هذه الدراسة لكتاب "الموازنة" على نسخة دار الكتب المصرية (١٩٦١-١٩٦٥) نشر السيد أحمد صقر وعلى الجزء المخطوط المصور عن نسخة كمبريدج.

ولا يسمني في هذا المقام الا أن أقدم شكري وامتناني الى أساتذتي الكرام، الدكتور محمد نجم لما شملني به من الرعاية والعطف، والدكتور احسان عباس لما تكرم به من ملاحظات قيمة في تصوّري للبحث، والدكتور خليل حاوي الذي لم يدخر وسعا في تقديم التوجيه والارشاد كما أنني مدين له في الاطلاع على كثير من المواقف النقدية، وأتوجه بالشكر الى أساتذتي الكرام ممن لهم علي فضل العلم والثقافة.

## فهرس الموضوعات

### الصفحة

### الباب الأول

|    |                                   |
|----|-----------------------------------|
| ١  | الأمدي وثقافة القرن الرابع الهجري |
| ١  | ٠١ ثقافة القرن الرابع الهجري      |
| ٣  | ٠٢ ثقافة الأمدي                   |
| ١٨ | ٠٣ حياته                          |
| ٣٠ | ٠٤ شيوخه                          |
| ٣٥ | ٠٥ روايته                         |
| ٣٦ | ٠٦ مؤلفاته                        |
| ٤٤ | ٠٧ تلامذته                        |

### الباب الثاني

|    |   |
|----|---|
| ٤٥ | كتاب الموازنة                                     |
| ٤٥ | أ .. الحركة النقدية التي أثارها أبو تمام والبحتري |
| ٥٤ | ب .. قيمة الموازنة كمنهج نقدي                     |
| ٩٠ | ج .. تأليف الكتاب                                 |

### الباب الثالث

|     |                                     |
|-----|-------------------------------------|
| ٩٧  | الأمدي الناقد من خلال كتاب الموازنة |
| ٩٧  | أ .. قضية القديم والمحدث            |
| ١٠١ | ب .. قضية اللفظ والمعنى             |
| ١١٠ | ج .. قضية السرقات الشعرية           |

### الباب الرابع

|     |                                   |
|-----|-----------------------------------|
| ١١٨ | أثر كتاب الموازنة في الأدب العربي |
| ١٤٣ | الخاتمة                           |
| ١٤٤ | ثبت المراجع العربية والمترجمة     |
| ١٥٢ | ثبت المراجع الافرنجية             |



## الباب الأول

الأمدي والقرن الرابع الهجري

## الباب الأول

### الأمدي والقرن الرابع الهجري

#### ١٠١ ثقافة القرن الرابع الهجري

ورث المجتمع العباسي في القرن الرابع الهجري تراثا حضاريا ضخما، ساهم القرنان الثاني والثالث في تكوينه وتنشئته ولورته، فكان تام النضج يانعا وجاهزا للقطاف. وقد امتزجت فيه الحضارة اليونانية والفارسية والهندية، وكل هذه النقول كانت قد انصهرت مع معارف العرب ومعلم حضارتهم. وقد أثبتت الحضارة الإسلامية قابليتها على التطور بتقبلها تلك الحضارات، وبلغت أعلى درجات السمو الفكري والحضاري في القرن الرابع الهجري، ولا غرو فقد كان القرنان الثاني والثالث عصرا اقتباس وترجمة بدأت أسسها بشكل علمي منظم يعم أرسى الخليفة المأمون قواعد بيت الحكمة في بغداد، أما القرن الرابع فكان عصر تعقل وابتكار.

ان مجتمع القرن الثالث الهجري كان قد بلغ درجة عالية من الترف والتأنق في ألوان اللباس والطعام وشتى مظاهر الحياة، كانت فيه بغداد معرضا وسوقا رائجة تجبى إليها منتوجات العالم القديم، ويلتقي فيها التجار والوافدون وأهل العلم من كل بلد. وكان أهل بغداد ينفردون في التمتع بخيرات الامارات الأخرى على كثرتها. وفي هذا المجتمع المسترف

الذي ضمّ بين دفتيه مئات الألوف من المدقّمين، برز التناقض الاقتصادي والاجتماعي، وظهرت الحركات الثورية كالقرمطية والنزجية والتي كشفت بسوس وشقاء الآخرين وأثرت ولا شك في الأدب والفلسفة والتاريخ . وما أن أطلّ القرن الرابع الهجري حتى كان الكيان السياسي قد دبّ فيه الضعف، وأخذ الأمراء الأجانب يتسلطون على مقاليد الأمور، وانفصلت الامارات البعيدة عن جسم الدولة - حتى لم يبق للخلافة المركزية في عهد امرة الأمراء سلطان الا على بغداد ونواحيها .

وكان الانقسام السياسي والتدهور الاقتصادي في القرن الرابع الهجري كان نعمة على العلم والأدب، فنجد الامارات المستقلة تتنافس فسي اجتذاب الأدباء والعلماء والاعداق عليهم . ونجد العلوم والفنون والآداب تواصل مسيرتها التي بدأت في القرنين الثاني والثالث، ودخلت الفلسفة في كل علم وفن، فصار النحاة يعتمدون أساليب المناطقة، وألزم بعض النقاد النقد الأدبي معايير فلسفية وقيدوه بها، ولم ينج الشعراء من تسرب الآراء الفلسفية اليه . وهذا دليل على الرقي الفكري الذي بلغه هذا العصر - وان اعتبر المحافظون ذلك مروقا وتعقيدا مجانباً للذوق العربي الأصيل . ان الذين لم يكن في استطاعتهم ادراك التطور الهائل الذي أصاب المجتمع الاسلامي في القرن الرابع هم وحدهم الذين لم يفهموا تطلّعات أبي تمام الى التجديد، وفي خضمّ ذلك الطغيان العلمي والفلسفي الذي كان يعم نواحي الحياة كلها بزغ نجم الناقد الآمدي الذي تأثر ولا شك بتيارات عصره المتلاطمة .

## ٠٢ ثقافة الآمدي

تتلخص الآمدي على أئمة اللغة والنحو والأخبار وهم الذين انتهت اليهم جهود أهل العربية قبلهم، وجلسوا مجالسهم في حلقات العلم والتدريس. وقد كان للآمدي من طول الصحبة ومواتاة الظروف وتقادم العمر ما يمكن معه القول أنه حوى ما عند هؤلاء الاساتذة الأعلام من علم العربية وآدابها. وقد نوه القفطي بهذه الثقافة إذ قال: "اتسع في الآداب وبرز فيها، وانتهت رواية الشعر القديم والأخبار في آخر عمره بالبصرة اليه".<sup>(١)</sup>

أما اتساع الآمدي في الآداب وبصره بالشعر قديمه ومحدثه الى جانب طول باعه في النشر فلا أدل عليها من مؤلفاته التي وصلت اليها. فكتابه "المؤلف والمختلف" في أسماء الشعراء - وهو مطبوع - يتضمن عددا لستمائة وخمسة وأربعين شاعرا اختارها الآمدي لأكثر الشعراء العقليين الذين يكثر الغلط في أسمائهم. وكتاب الموازنة حشد ضخم لكل ما وصل اليه القرن الرابع الهجري من ذوق أدبي ونقد وتمرس بالشعر ووقوف على أخبار الشعراء وأحوالهم ومراتبهم، وآراء أهل العلم وشيوخ اللغة في ذلك.

---

(١) انباه الرواة، ج ١، ص ٢٨٨.

تتلمذ الآمدي على أئمة اللغة والنحو والأخبار وهم الذين انتهت اليهم جهود أهل العربية قبلهم، وجلسوا مجالسهم في حلقات العلم والتدريس. وقد كان للآمدي من طول الصحبة ومواتاة الظروف وتقادم العمر ما يمكن معه القول أنه حوى ما عند هؤلاء الاساتذة الأعلام من علم العربية وآدابها. وقد نوه القنطي بهذه الثقافة إذ قال: "اتسع في الآداب وبرز فيها، وانتهت رواية الشعر القديم والأخبار في آخر عمره بالبهرة اليه"<sup>(١)</sup>.

أما اتساع الآمدي في الآداب وبصره بالشعر قديمه ومحدثه الى جانب طول باعه في النشر فلا أدل عليها من مؤلفاته التي وصلت اليها. فكتابه "المؤلف والمؤلف" في أسماء الشعراء - وهو مطبوع - يتضمن عدداً لستمائة وخمسة وأربعين شاعراً اختارها الآمدي لأكثر الشعراء المقلين الذين يكثر الغلط في أسمائهم. وكتاب الموازنة حشد ضخم لكل ما وصل اليه القرن الرابع الهجري من ذوق أدبي ونقد وتمرس بالشعر ووقوف على أخبار الشعراء وأحوالهم ومراتبهم، وآراء أهل العلم وشيوخ اللغة في ذلك.

(١) انباء الرواة، ج ١، ص ٢٨٨.

وفىما يلي محاولة للوقوف عند أنواع الثقافة التي حصلها الآمدي  
أو اطلع عليها:

أ- الثقافة الدينية: ويظهر تبّخره في العلوم الدينية من كثرة  
استشهاده بأي القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال المفسرين  
والصحابه والفقهاء، بالإضافة الى ثقته بنفسه في تفسيره الجري لمعاني  
الكثير من الآيات القرآنية التي تعددت وجوه تأويلها . فمن ذلك مناقشته  
للقلب في المعنى في كلام العرب يقول: " فان قيل ، فقد جا' القلب فسي  
القرآن ولا يجوز أن يقال ان ذلك على سبيل السهو ولا الضرورة، لأن كلام  
الله عز وجل يتعالى عن ذلك وهو قوله : ( ما ان مفاتحه لتنوّ بالعصبة  
أولي القوة) وانما العصبة تنوّ بالمفاتيح ، أي تنهض بثقلها . وقال الله  
عز وجل : ( ثم دنى فتدلى ) وانما هو تدلى فدنا ، وقال : ( وانه لحب الخير  
لشديد ) أي ، وان حبه للخير لشديد . ولهذا أشباه كثيرة في القرآن .  
قيل : هذا ليس بقلب وانما هو صحيح مستقيم ، وانما أراد الله تعالى  
اسمه ، ما ان مفاتحه لتنوّ بالعصبة أي تميلها من ثقلها ، وذكر ذلك الفراء  
وغيره ، وقالوا : انما المعنى لتني' العصبة . وقوله : ( وانه لحب الخير  
لشديد ) قيل : المعنى انه لحب المال لشديد ، والشدة : البخل ، يقال :  
رجل شديد ومتشدد : أي بخيل ، يريد انه لحبه المال

لبخيل متشدد<sup>(١)</sup>.

ومن تبني الآمدي لبعض وجوه التفسير مع التردد في الجسم  
قوله في الآية الكريمة (لتركين طبقا عن طبق) أي، حالا بعد حال، ولم  
يرد تساويهما في تمثيل المعنى، وإنما أراد عز وجل - وهو أعلم - تساويهما  
فيكم وتغييرهما إياكم بمرورهما عليكم<sup>(٢)</sup>. وفي قول الله عز وجل (فأما الذين  
أسودت وجوههم أكرتم بعد إيمانكم) يقول الآمدي: كأنه أراد، فيقال لهم  
أكرتم بعد إيمانكم<sup>(٣)</sup>.

ومن استشهاد الآمدي بالأحاديث النبوية الشريفة قوله فسي  
التعليق على بيت أبي تمام:

هن البجاري أيا بجير أهدى لها الأيوس الغوير

"البجاري: جمع بجرية وهو ما يمر بالإنسان من المصائب من قوله عليه  
السلام: أشكو إلى الله عجري وبجري"<sup>(٤)</sup>. ومن استشهاد على حسن الجزاء  
إيراده الحديث: قالت امرأة لرسول الله: يا رسول الله، نذرت أن بلغتني

(١) الموازنة ج: ١، ص: ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٢) نفس المصدر، ص: ٢٧١.

(٣) نفس المصدر، ص: ١٨٢.

(٤) الموازنة، ج: ٢، ص: ٢٦٩.

ناقتي هذه اليك أن أنحرهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
 "لبئس ما جزيتها" <sup>(١)</sup> الى غير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة الموثقة  
 في كتابي "الموازنة" و"المؤتلف والمختلف" .

ومن استشهاد به بأقوال الفقهاء ما جاء في تعليقه على بيت البحتري

تشق عليه الريح كل عشيّة      جيوب الغمام بين بكر وأيسم

يقول الآمدي، "غلط لأنه ظن أن الأيم هي الثيب، وقد غلط في مثله أبو  
 تمام . . . وسها أيضا فيه بعض كبار الفقهاء" <sup>(٢)</sup> . وقال في موضع آخر ، " وقد  
 غلط في الأيم بعض كبار الفقهاء فجعلها مكان الثيب، وذلك لحديث روي عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم فانه لحقه السهو في تأويله فحمله على غير  
 معناه <sup>(٣)</sup> " وقد بين القاضي الجرجاني أن الفقيه المقصود هو الامام الشافعي  
 رضي الله عنه <sup>(٤)</sup> .

بـ الثقافة الفلسفية لم يكن الآمدي - كما يبدو - يجهل الكثير من  
 الثقافات المترجمة في عصره ، والتي كانت قد أخذت طريقها الى مختلف ألوان  
 الثقافة، وكتب الجاحظ وابن قتيبة وأبي حيان التوحيدي تزخر بحشد ضخم من

(١) الموازنة ، ج ١ ، ص : ٤١٥ .

(٢) نفس المصدر ، ص : ٣٥٦ .

(٣) نفس المصدر ، ص : ١٦١ .

(٤) الوساطة ، ص : ٨٠ .



هذه الثقافات . ولم يفت الآمدي نفسه أن يدلّ على معرفته بالنقد القائم على  
فلسفة أرسطو قال : ذكرت الأوائل أن كل محدث مصنوع يحتاج الى أربعة  
أشياء : "علة هيولانية وهي الأصل ، وعله صورية ، وعله فاعلة ، وعله تمامية"<sup>(١)</sup> . بل  
لا نستطيع أن ندفع عن الآمدي تأثيره بالفلسفة سواء أكان ذلك في آرائه أم في  
طرق تأليفه ومناقشاته . ولكن هل كان من أثر لهذه الفلسفات في نقد الآمدي  
وذوقه الأدبي؟

لقد كان لأرسطو مكانة عظيمة عند العرب ، وكان الجاحظ يسميه أباً  
المنطق ويرجع اليه كثيراً في كتبه . ولكن الذي نستبعد أن تكون آثار أرسطو  
الأدبية قد تركت أي أثر في تطوّر تحليل الابداع الشعري عند العرب . ان قراء  
أرسطو وشراحه كانوا جميعاً تقريباً — كما يقول المستشرق كراتشكوفسكي — من  
الفلاسفة أو المتبحرين بالعلوم الطبيعية . أما الباحثون في نظرية الأدب وتاريخه  
وهم دائماً اللغويون في أضيق معاني هذه الكلمة فقد كانوا يتحاشون الخوض في  
ذلك ، وإذا سرنّا شوطاً أبعد في تتبع تاريخ بدعي أرسطو عند العرب وجدنا  
شارحين شهيرين له هما ابن سينا وابن رشد . ومن المشكوك فيه أن يكون هذا  
الأخير قد فهم فهماً صحيحاً بدعي أرسطو . ففي نقله الطليق لهذا البديع  
عرف التراجميداً بأنها فنّ المدح ، والكوميديا فنّ التقرّيع .  
وعلى هذا الأساس تصبح القصائد العربية تراجميديات

(١) الموازنة ج ١ ، ص ٤٠٢ .

والهجا" كوميديا<sup>(١)</sup>.

فاذا كان حتى الفلاسفة - كما يقول كراتشكوفسكي - قد فهموا بديع  
أرسطو هذا الفهم فلا عجب أن رأينا الباحثين في نظرية الأدب ينفرون في  
كثير من الأحيان من البديع اليوناني . فهذا الجاحظ مثلا يأتي على ذكر  
منطق أرسطو أحيانا ولكن بشي<sup>(٢)</sup> من السخرية خفية فهو يقول : " ألا ترى أن  
كتاب المنطق الذي قد وسم بهذا الاسم لو قرأته على جميع خطباء الأمصار  
وبلغاء العرب لما فهموا أكثره<sup>(٣)</sup> " . ويعيب ابن قتيبة الدينوري في مقدمة كتابه  
" أدب الكاتب " على الأدباء الذين ينصرفون الى دراسة المنطق والفلسفة ويرى  
أن العلوم العربية قائمة بنفسها مستغنية عما سواها ، وأنها الجوهر ، والجوهر  
قائم بنفسه كما يقول<sup>(٤)</sup> . ويأتي أبو حيان بمناقشة طريقة لأبي سعيد السيرافي  
وأبي بشر متى بن يونس وغيره من المناطقة يبين فيها أبو سعيد أن الآداب  
عند كل أمة مستغنية عما سواها من الأمم ، وأن العلوم العربية قائمة بنفسها  
غير مفتقرة الى غيرها وأن المناطقة أعيا الناس في الفصاحة العربية وأصولها<sup>(٥)</sup> .  
ويسخر الآمدي من ادخال الفلسفة في الشعر فيقول : قد جئت بحكمة وفلسفة  
ومعان لطيفة حسنة ، فان شئت دعوناك حكيما ، أو سميناك فيلسوفا ، ولكن لا

(١) نقلا عن " كراتشكوفسكي - دراسات في تاريخ الأدب العربي ، ص : ٣٦ .  
(٢) دراسات في تاريخ الأدب العربي ، ص ٣٦ ، ٣٧ . وانظر الجاحظ ، كتاب  
الحيوان ج ١ ، ص : ٩٠ .  
(٣) أدب الكاتب ، ص : ٤ .  
(٤) الامتاع والمؤانسة ج ١ ، ص : ١٠٩ . وما بعدها .

نسميك شاعرا، ولا ندعوك بليغا<sup>(١)</sup> ويذهب ابن الأثير أبعد من ذلك فيحدث عن ابن سينا بسخرية لاذعة يقول: "فان ادّعت أن هؤلاء تعلموا ذلك من كتب ملأها اليونان قلت لك في الجواب هذا باطل بي أنا، فاني لم أعلم شيئا مما ذكره حكماؤ اليونان ولا عرفته . . . ولقد فاوضني بعض المتفلسفين في هذا وانساق الكلام الى شيء ذكر لأبي علي بن سينا في الخطابة والشعرونذكر ضربا من ضروب الشعر اليوناني يسمى اللاغوزيا وقام فأحضر كتاب الشفاء لأبي علي ووقفني على ما ذكره فلما وقفت عليه استجھلته فأنه طوّل فيه وعرض كأنه يخاطب بعض اليونان وكلّ الذي ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئا<sup>(٢)</sup>."

ما دام الأمر كذلك فانه من الصعب — كما يقول كراتشكوفسكي — ايجاد آثار للنفوذ اليوناني في نشوء البديع والتحليل الأدبي، فقد ولدت هذه في بيئة تختلف عن بيئة اليونان كلّ الاختلاف، نشأت في أوساط اللغويين العرب الذين لم يستندوا في أبحاثهم الى نظرية أجنبية بل الى استقصاء لغتهم هم<sup>(٣)</sup> والفرق بين بين من نحلّ معنى الفلاسفة في نظرتهم للأدب — كما فعل قدامة بن جعفر في "نقد الشعر" والذي جمّد فيه الطبع العربي فسي

(١) الموازنة، ج: ١، ص ٤٠١.

(٢) المثل السائر، ج: ١، ص: ١٢٠.

(٣) دراسات في تاريخ الأدب العربي، ص: ٣٧.

تقسيمات منطقية وترقيعات نافلة فأكثر الحز وأخطأ الفصل ، وبين نظرة الآمدي الأدبية التي تقوم على فهم عميق لطبائع العرب ونفسياتهم وراميتهم في القول .

ان السبب الأول في اشاعة الأدباء واللغويين عن كتاب "نقد الشعر" - كما يقول المستشرق كرا تشكوفسكي - هو نفور الاوساط الأدبية من كل بناء نظري نشأ بتأثير فلسفة غربية عنهم ومنطق ليس منهم . ان كتاب قدامة - كما يقول - يترك في النفس شعوراً بأنه غريب عن العرب بعض الشيء اذا قورن بمؤلفات ابن المعتز والجاحظ<sup>(١)</sup> . ولعل في المثال التالي ما يوضح الفرق بين نظرتي أهل الفلسفة كقدامة بن جعفر وأهل اللغة كالآمدي .

ان قدامة في تعريفه لفن المدح عند العرب يذهب الى أن المدح بالحسن والجمال والذم بالقبح والدماة ليس بمدح ولا ذم على الحقيقة ، ويخطئ كل من يمدح بهذا ويذم بذاك ، ويرد عليه الآمدي بقوله : " فأما الجلال والبهاء والهيبة . . . فانه واجب في مدح الخلفاء والملوك والعظماء ، لأنه من الأوصاف التي تخصهم ، ويحسن موقع ذكرها عندهم ، وكذلك جمال الوجه وحسنه مما يجب المدح به ، فان الوجه الجميل يزيد في الهيبة ، ويتمن به العرب لأنه يدل على الخصال المحمودة ، كما أن قبح الوجه

(١) دراسات في تاريخ الأدب العربي ، ص : ٤٨ .

(٢) نقد الشعر ، ص : ١١٢ .

والدماة يسقط الهيبة ويدل على الخصال المذمومة، وذلك ما شكره العرب،  
وتتشاء به، لأن أول ما تلقاه من الانسان وتعاينه وجهه<sup>(١)</sup>.

جـ - الثقافة اللغوية، وأعني بها احاطته التامة بمدلولات العربية  
من ألفاظ ومعان، وأساليب العرب في التعبير، وهاداتهم في القول، مع  
حسن لغوي مرهف، وفطنة حادة، وكتاب الموازنة يزخر بالأمثلة الكثيرة التي  
تشهد على ذلك.

(١) مدلولات الألفاظ، ففي بيت أبي تمام في وصف الفرس.

ما مقرب ~~هي~~ يختال في أشطانه ملآن من صلف به وتلهوق

يقول الآمدي: "ملآن من صلف به" يريد التيه والكبر، وهذا مذهب العامة  
في هذه اللفظة، فأما العرب فإنها لا تستعملها على هذا المعنى وإنما  
تقول: قد صلفت المرأة عند زوجها إذا لم تحظ عنده، . . . والصلف الذي  
لا خير عنده . . . فهذا معنى الصلف في كلامهم وعلى هذا ذم أبو تمام  
الفرس من حيث أراد أن يمدحه<sup>(٢)</sup>. وهذا يدل على فهم دقيق لأصل اللفظة  
ومدلولاتها.

(١) الموازنة، ج ١، ص ٢٠٦٩.

(٢) الموازنة، ج ١، ص ٢٣٤. والمفردات كما وردت في "الموازنة" هي:  
المقرب، الفرس، التلهوق = التملق، الاشطان، الأرسان.

(٢) أساليب العرب في القول، وللآمدي إلمام تام بدقائق الحياة العربية، وفهم عميق لنفسيات القوم ومراميهم في القول. تأمل مناقشته لمذهب العرب في الوقوف على الأطلال ومقاصدهم من ذلك مع حشد الشواهد الأدبية وبراعة التعليل. يقول: "العرب لا تقصد الديار للوقوف عليها، وإنما تجتاز بها، فإن كانت واقعة على سنن طريقهم قال الذي له أرب في الوقوف لصاحبه أو أصحابه: قف، وقفاء، وقفوا. وإن لم تكن على سنن الطريق قال: عوجاء، وعرجاء، وعوجوا، وعرجوا. كما قال امرؤ القيس:

عوجاء على الظلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حذام  
وإذا عرجوا كان التعرّيج أشق على الركب والركاب من الوقوف لأن لها في  
الوقوف حيث انتهت راحة، والتعّريج فيه زيادة في تعبها وكلالها وإن قلت  
المسافة... وهذه طريقة القوم في الوقوف على الديار ولهم فيها من الأشعار  
ما هو أشهر وأكثر من أن أحتاج إلى ذكره، وتلك سبيل سائر المحدثين<sup>(١)</sup>  
ويدافع الآمدي عن مذهب الوقوف على الأطلال والتسليم عليها، وهو يبين أن  
العرب إنما تفعل ذلك إذا اجتازوا الأطلال أو عند مشارفتهم لها، ولا تفعل  
ذلك قصداً لأن المحبوب إن كان حياً موجوداً فقصده رباحه وموطنه التي هو  
قاطنها أولى وأجدى - كما يقول الآمدي - وإن كان ميتاً فالإلمام بناحية الأرض  
التي فيها حفرته أولى وأحرى<sup>(٢)</sup>.

(١) الموازنة، ج ١، ص ٤٠٩ - ٤١١.

(٢) نفس المصدر، ص ٤١٢.

ومعرفة الآمدي بالشعر يكاد لا يند عنها شيء من أسبابه سواء  
في ذلك المعاني والألفاظ ومدلولاتها، وأحوال الشعراء وأزمانهم وأقدارهم  
وآراء النقاد حولهم، بل إنه نفسه كان شاعراً كثيراً الشعر، حسن الطبع،  
جيد الصنعة، مشتهراً بالتشبيهات — كما يقول ياقوت<sup>(١)</sup> — ويقول القنطي: "وليه  
شعر حسن"<sup>(٢)</sup>، لكن ما وصلنا من شعره — للأسف — ليس أكثر من  
مقطعات صغيرة<sup>(٣)</sup>، لا تصوّر الآمدي الشاعر.

وأما في موضوع النثر فله من اشتغاله بالكتابة والتقلب في مناصبها  
وتسميته بالكاتب ما يشهد على طول باعه فيه، وكتاب "الموازنة" يعد برهانا  
مائلا على فصاحة عبارته ومتانة أسلوبه مع وضوح الدلالة ونصوع المعنى،  
وكتبه مثل كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانياً<sup>(٤)</sup> وقد لاحظ ذلك  
ابن النديم فقال: "كان يتعاطى مذهب الجاحظ فيما يعمل من الكتب"<sup>(٥)</sup>.

أما ثقافة الآمدي النحوية فليست في حاجة إلى البرهان على غناها  
وعقها وهو الأديب النحوي، وتلميذ أئمة النحو في القرن الرابع الهجري. وقد

(١) معجم الأدباء، ج ٨، ص ٨٧.

(٢) انباه الرواة، ج ١، ص ٢٨٩.

(٣) وردت هذه المقطعات في معجم الأدباء، ج ٦، ص ٣٠٦، معجم  
الأدباء، ج ٨، ص ٨٢٠، ثم انباه الرواة، ج ١، ص ٢٨٥، ٢٨٩.

(٤) هذه الجمل لابن العميد: أنظر: الثعالب، يتيمة الدهر، ج ٣،  
ص ٣، وأنظر: معاهد التنصيص، ج ١، ص ١٧٦.

(٥) الفهرست، ص ١٥٥.

تميّزت معالجة الآمدي للنواحي النحوية - في الموازنة - بما يلي:

- (١) تخرّيج جميع الوجوه المحتملة ومناقشتها وإقامة البراهين على صحتها أو نفيها بما لا يترك قولاً لمستزید .
- (٢) التقريب إلى الأذهان، والتبسيط في العرض والشرح مع الأمثلة القريبة الواضحة المستمدة من كلام المخاطبة العادي .
- (٣) التمسك بالمبادئ النحوية العامة، وإنكار الشوارد النحوية، أو قياس الأصول اللغوية على أصول مثلها .

ومن الأمثلة التي توضح ما نذهب إليه في طريقة تناول الآمدي

(١)

للمسائل النحوية مناقشته لمعنى "هل" في بيت أبي تمام:

رضيت وهل أرضى إذا كان مسخطي من الأمر ما فيه رضا من له الأمر

وكان الآمدي لم يشعر بالارتياح إلى استيفاء معاني "هل" في

هذه المناقشة الضافية فألف في ذلك كتاباً منفصلاً (٢) وإن كان قد أشيع

القول في تخرّيج معاني "هل" فإن ذلك لم يكن خارجاً عن طبعه في تناول

المسائل النحوية، فهو يتناول معاني "دون" ويحشد في الاستشهاد على

صحة معانيها من القرآن الكريم والشعر والأمثال وكلام الناس ما ينتزع معه

(٣)

الاقرار لطول بابه في هذا الميدان .

(١) الموازنة، ج ١، ص ٢٠١ .

(٢) نفس المصدر، ص ٢٠٥ وهذا الكتاب لم يصل إلينا - مع الأسف .

(٣) أنثره نفس المصدر، ص ١٧٠ - ١٧٥ .



وتكاد استطرادات الآمدي النحوية المبتوتة في كتاب "الموازنة" تشكل كتابا اذا ما جمعت <sup>الى</sup> بعضها البعض، وقد تناول في هذه الاستطرادات أهم الموضوعات النحوية <sup>اللغوية</sup> التي يدخل فيها الاشكال من مثل، المصادر، <sup>(١)</sup> ومطابقة الفعل المتعدى، والأضداد في اللغة، <sup>(٢)</sup> واسم الفاعل <sup>(٣)</sup> والفعول <sup>(٤)</sup>.

د - الثقافة النقدية: يبدو أن الآمدي لم يدع كتابا في النقد الأدبي أو في الشعر والشعراء دون أن يقرأه أو يرد عليه. وقد تأثر بكثير من النقاد الذين سبقوه، وكثيرا ما كان ينقل عن كتبهم أو يناقش آراءهم النقدية في مواضع كثيرة من كتاب الموازنة، نذكر من هؤلاء:

(١) ابن سلام الجمحي (ت ٢٣٢ هـ) وكتابه "الطبقات"، ينقل الآمدي عن ابن سلام في كتاب "الطبقات" بشي من الاحترام والتقدير. ففي سياق حديثه عن كثير بن عبد الرحمن يقول: "وهذا ابن سلام الجمحي ذكره في كتاب "الطبقات" في الطبقة الثانية من شعراء الاسلام". <sup>(٥)</sup>

(١) أنظر الموازنة، ج: ١، ص: ١٦٥-١٦٦.

(٢) نفس المصدر، ص: ١٥٨.

(٣) نفس المصدر، ص: ٢٣٨، والموازنة ج: ٢، ص: ٣٥.

(٤) الموازنة، ج: ١، ص: ٢١٥.

(٥) نفس المصدر، ص: ١٠.

(٢) الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) :

والذي لا شك فيه أن الآمدي قد قرأ كتب الجاحظ وتأثر بها . وقد سبقت الإشارة إلى انتهاج الآمدي مذهب الجاحظ في التأليف<sup>(١)</sup> .

(٣) ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) :

لم يطلع الآمدي على كتب ابن قتيبة فحسب بل كان يروي كتبه في الناس نقلا عن ابنه أبي جعفر<sup>(٢)</sup> .

(٤) ابن المعتز (ت ٢٩١ هـ) :

ويبدو تأثر الآمدي بابن المعتز وكتابه "البديع" و"سركات الشعراء" . وهو ينقل آراء ابن المعتز بروح الشقة والاحترام . ففي بيت للبحري يقول : "ذكره عبد الله بن المعتز وقد علمتم فضله وعلمه بالشعر في باب ما اختاره من التشبيه في كتابه الذي نسبه إلى البديع"<sup>(٣)</sup> . وفي موضع آخر يقول الآمدي : "وقد ذكر أبو العباس عبد الله بن المعتز في كتابه المؤلف في سركات الشعراء ومعانيهم"<sup>(٤)</sup> .

(١) أنظر : ص ١٣ ، هامش رقم ٥ من هذا البحث .

(٢) أنظر : معجم الأدباء ، ج ٥ ، ص ٣٧٩ .

(٣) الموازنة ، ج ١ ، ص ٣١ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٨٦ .

( ٥ ) قدامة بن جعفر وكتاب "نقد الشعر" ،

وقد ألف الآمدي كتابا في تبين غلط قدامة في هذا الكتاب ،  
كما ألف كتابا في الرد على ابن طباطبا العلوي وكتابه "عيار الشعر" ،  
وسنعرض بالبحث لهذين الكتابين فيما بعد .

( ٦ ) شيوخ اللغة ،

والآمدي كثير الأخذ عن شيوخته في الآراء النقدية ، وكثيرا  
ما يكتفي بنعتهم بذكر كلمة الشيوخ . ففي تفسير بيت لأبي تمام يقول  
الآمدي : " كذا فسرهُ الشيوخ بعد أن جرى في البيت خوض طويل<sup>(١)</sup> " . وهذا  
على سبيل المثال لا الحصر .

---

(١) الموازنة ، ج ١ ، ص ٤٠ .

٠٣ حياة الآمدي

أ - أسرته : تنتمي أسرة أبي القاسم الآمدي الى مدينة "آمد"<sup>(١)</sup>، وهي التي يقول عنها ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ هـ "وهي أعظم مدن ديار بكر، وأجلها قدرا، وأشهرها ذكرا"<sup>(٢)</sup>. ويبدو أن مدينة "آمد" هذه كانت وسطا علميا راقيا حتى نسب إليها خلق كثير من أهل العلم في كل فن<sup>(٣)</sup>. ولا تحدّثنا المصادر بشيء من أسرة الآمدي، أو عن صلة لها بآمد، غير أن ولادة أبي القاسم في البصرة تؤكد أن أحد آبائه هاجر من آمد، بحيث يعدّ أبو القاسم - كما سيأتي - بصريا في ولادته ونشأته، وأن النسبة التي لحقته إنما هي التي عرفت بها أسرته .

ب - اسمه ونسبه وكنيته : هو : الحسين بن بشر بن يحيى، أبو القاسم الآمدي<sup>(٤)</sup>. وقد اتفقت جميع التراجم - بلا استثناء - على اسمه وكنيته، أما ما ذكره الخوانساري (المتوفى سنة ١٣١٣ هـ) من أن اسم جدّه "بحر"<sup>(٥)</sup> فلا أراه إلا من قبيل التصحيف لتشابه اسمي "بحر" و"يحيى" في الرسم .

- 
- (١) ياقوت - معجم البلدان - ج ١ : ص ٥٦، القحطبي - انباء السراة ج ١ : ص ٢٨٥ .  
 (٢) معجم البلدان ج ١ : ص ٥٦ .  
 (٣) أنظر: السمعاني - كتاب الأنساب - ص ١٥، معجم البلدان ج ١ : ص ٥٦ .  
 (٤) الفهرست ص ١٥٥، معجم الادباء ج ٨ : ص ٧٥، السيوطي - بغية الوعاة - ص ٢١٨ .  
 (٥) روضات الجنات، ص ٢١٩ .

## ج - مراحل حياته :

(١) المرحلة البصرية الأولى ، عدته كتب التراجم " من أهل البصرة " <sup>(١)</sup> ، وبها ولد . قال ياقوت في خبر رفع اسناده الى أبي القاسم التنوخي عن أبيه أبي علي المحسن أن مولد أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي بالبصرة <sup>(٢)</sup> . وذكر الققطي أن نشأته كانت بها أيضا <sup>(٣)</sup> . ولم تتحدث المصادر بشيء عن حياة الآمدي في هذه المرحلة - شأنه في ذلك شأن الكثير من الشخصيات التي تلقى عليها الأضواء بعد الشهرة والنبوغ .

(٢) المرحلة البغدادية : يقول عنه ياقوت " قدم بغداد يحمل عن الأخفش والحافظ والزجاج وابن دريد وغيرهم اللغة والنحو " <sup>(٤)</sup> . ويقول الققطي : " قدم بغداد وأخذ عن الحسن بن علي بن سليمان الأخفش وأبي اسحاق الزجاج ، وأبي بكر بن دريد ، وأبي بكر بن السراج اللغة والأخبار " <sup>(٥)</sup> . وأضاف السيوطي الى هؤلاء الشيخ - نبطويه <sup>(٦)</sup> .

فمتى كانت رحلة الآمدي الى بغداد ؟ وم كم كان عمره حينذاك ؟ وما

هي أسباب هذه الرحلة ؟

- 
- (١) الفهرست ، ص ١٥٥ ، معجم الادباء ، ج ٨ ، ص ٧٨ ، انباء الرواة ، ج ١ ، ص ٢٨٨ .  
 (٢) معجم الادباء ، ج ٨ ، ص ٨٦ .  
 (٣) انباء الرواة ، ج ١ ، ص ٢٨٧ .  
 (٤) معجم الادباء ، ج ٨ ، ص ٨٦ .  
 (٥) انباء الرواة ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .  
 (٦) بغية الوعاة ، ص ٢١٨ .

بالرجوع الى سنّي وفيات الشيوخ الذين حمل الآمدي العلم عنهم،  
نجد أن أسبقهم وفاة كان أبو موسى الحاض وذلك سنة ٣٠٥ هـ. وهذا<sup>(١)</sup>  
يعين أن الآمدي وجد في بغداد في هذا العام نفسه، أو قبيل هذا  
العام. وعلى أية حال فإن هجرته الى بغداد تكون قد تمت قبل وفاة أبي  
موسى الحاض بمدة من الصعب تحديدها.

وليس من السهل أيضا تحديد سنّه يوم ترك البصرة مهاجرا الى  
بغداد، ولكن صحبته للمشايخ مثل أبي اسحاق الزجاج المتوفى سنة  
٣١٠ هـ وطبقته،<sup>(٢)</sup> وسماعه كتاب القوافي على "نقطويه" سنة ٣١٣ هـ،<sup>(٣)</sup> أي  
بعد ما يزيد على ثماني سنوات من هجرته قد يجعل الباحث يفترض أنه  
كان حينئذ في سن النضج. وبعد أربع سنوات من هذا التاريخ بدأ يتجه  
نحو دراسة شعر أبي تمام والبحث،<sup>(٤)</sup> ففي العام المذكور يكون الآمدي قد  
دخل مرحلة التأليف بعد مرحلة الطلب البغدادية.

- 
- (١) الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ج ١، ص ٦١، ابن  
الأنباري - نزهة الألباء، ص ١٦٦.  
(٢) الفهرست، ص ٦٠.  
(٣) انباء الرواة، ص ٢٨٥.  
(٤) معجم الأدباء، ج ٨، ص ٧٥.  
(٥) أنظر، الموازنة، ج ١، ص ٥٢.

غير أنه أثناء إقامة الآمدي في بغداد لم يقتصر على طلب العلم، وربما قدرنا أن حاجته المادية قد ألجأته إلى التكسب فعمل كاتباً عند أبي جعفر هارون بن محمد الضبي خليفة أحمد بن هلال صاحب عمان، بحضرة المقتدر بالله ووزارته، ولغيره من بعده - كما يقول ياقوت<sup>(١)</sup> - أما أبو جعفر المذكور فكان من أهل عمان ثم اتخذ بغداد دار إقامة - يقول فيه الخطيب البغدادي: "ساد بعمان في حداثة سنه ثم خرج منها فلقى العلماء بمكة والكوفة والبصرة - ورحل إلى مدينة السلام سنة خمس وثلاثمائة، فعلت منزلته عند السلطان وارتفع قدره وانتشرت مكارمه وعطاياه، وانتابه الشعراء من كل موضع وامتدحوه وأكثروا، وأجزل صلاتهم، وأنفق أمواله في بر العلماء والافضال عليهم، وفي صلات الأشرف من الطالبين والعباسيين وغيرهم - واقتناء الكتب المنسوبة، وكان مبرزاً في العلم باللغة والشعر والنحو ومعاني القرآن والكلام، وكانت داره مجمعا لأهل العلم في كل فن إلى أن توفي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة"<sup>(٢)</sup>.

متى التقى الآمدي بأبي جعفر الضبي؟ إن أبا جعفر هذا قد مرّ بالبصرة ودخل بغداد - كما تقدم - سنة ٣٠٥ هـ وفي هذا العام نفسه كان

(١) معجم الأدباء، ج ٨، ص ٨٦، وانظر: انباء الرواة ج ١، ص ٢٨٨.  
(٢) تاريخ بغداد - ج ١٤، ص ٣٣، وانظر: ابن الجوزي - المنتظم - ج ٦، ص ٣٥٦.

الآمدي ببغداد، فهل يصح أن يفترض الدارس بأن الرجلين التقيا في البصرة، وأنها اصطحا في رحلتها الى بغداد، وأن مفارقة الآمدي للبصرة إنما كانت باقتراح من الضبي وتشجيعه، أو أن مجلس أبي جعفر الذي كان "مجمعاً لأهل العلم" هو الذي عرف الآمدي الى الضبي، فلما رأى هذا حسن خطه - وكان الآمدي يكتب خطاً حسناً من خطوط الأوائل، وخطه كما يقول القسطنطيني أقرب خط الى الصحة وكتب الكثير - استخدمه كاتباً عنده؟ وبذلك يكون الآمدي قد استطاع أن يجمع بين عمله في خدمة أبي جعفر، وبين حضور مجالس العلم والعلماء في دار السلام خصوصاً وأن أبا جعفر كان ينفق أمواله في بر العلماء والافضال عليهم؟

أيا كان الأمر، فلا تعارض أن يقال: ان الآمدي كان يطلب العلم وهو موظف عند الضبي، أو أنه طلب العلم أولاً ثم وجد الوظيفة الصالحة التي مكنته خلالها من الاستمرار في الدرس والتحصيل، وربما في الانصراف الى التأليف.

ولنعد الى عبارة ياقوت مرة أخرى: "وكان يكتب بمدينة السلام لأبي جعفر هارون بن محمد الضبي خليفة أحمد بن هلال صاحب عمان يحضرة المقتدر بالله ووزارته، ولغيره من بعده" (٢).

(١) انباء الرواة، ج ١، ص ٢٨٥.

(٢) انظر صفحة ٢١، هامش رقم ١ من هذا البحث.



ان هذه العبارة تثير عددا من التساؤلات، فمن المعلوم أن المقتدر  
 قتل في سنة ٣٢٠ هـ فماذا كانت علاقة الضبي بالمقتدر؟<sup>(١)</sup> ان الكتب التاريخية  
 التي تتحدث عن الوزراء المتعاقبين في عصر ذلك الخليفة أشارت الى أن أحمد  
 بن هلال صاحب عمان - كان أمير همدان وماه البصرة وماه الكوفة في وزارة أبي  
 الحسن بن الفرات للخليفة المقتدر<sup>(٢)</sup> وذكر ابن الجوزي أنه في سنة ٣٠٥ هـ .  
 ورد على المقتدر هدايا جليلة من أحمد بن هلال صاحب عمان<sup>(٣)</sup> ولكن هذه  
 المصادر لا تشير الى أن هارون بن محمد الضبي كان وزيرا، وكذلك فإن  
 الخطيب البغدادي لم يذكر أن الضبي كان وزيرا وكل ما ذكره أن الرجل  
 "ارتفعت منزلته عند السلطان وارتفع قدره" . ثم ما معنى قول ياقوت  
 "ولغيره من بعده" ؟ هل تعني أن الآمدي كتب لغير الضبي قبل وفاة الأخير،  
 وهي فيما يقول الخطيب كانت سنة ٣٣٥ هـ أو أن الآمدي ترك الكتابة الضبي بعد  
 سنوات من الخدمة ثم لأمر ما تخلى عن الكتابة له وكتب لغيره ؟ ان تقرير  
 ذلك كان يفيدنا في التعرف الى التاريخ الذي غادر به بغداد عائدا الى موطنه  
 الأول . أما العبارة على هذا الفموض فلا يستنتج منها الا أن الآمدي لم يغير  
 حرفته أي الكتابة، وان تغير الشخص الذي كان يعمل من أجله .

- 
- (١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ١٢٠ .  
 (٢) هلال بن الحسن الصابي، تحفة الاعراب في تاريخ الوزراء، ص ١٥٤-١٥٥ .  
 (٣) المنتظم، ج ٦، ص ١٤٥ .

ثم ما هي طبيعة هذه الكتابة؟ أعني هل يصح أن يطلق عليها اسم كتابة ديوانية رسمية أو أنها تعني نسخ الكتب؟ ان عدم وضوح الصلة بين الضبي والحياة السياسية في بغداد يجعلني أرجح الثانية وخاصة اذا تذكرنا أن الضبي كان معروفا باقتناء الكتب المنسوبة، وكان الآمدي ماسرا في الخط - كما يقول الققطي<sup>(١)</sup> - ولهذا كان الضبي وربما غيره - حريصين على اقتناء الكتب بخطه، كل هذا يؤدي الى القول بأن الآمدي عمل في بغداد "وراقا" ولكنه كان يتميز عن غيره من الوراقين بالتزامه التوريق لشخص معين، وهذا يشير الى أن رزقه كان مكفولا، وأنه كان يمارس النسخ دون أن تضطره الظروف للانقطاع عن العمل.

(٣) المرحلة البصرية الثانية: رجع الآمدي الى البصرة وهناك كتب لأبي الحسن أحمد، وأبي أحمد طلحة بن الحسن بن المثنى<sup>(٢)</sup> - فمتى كان ذلك؟

ان المصادر لم تشر الى هذين الرجلين، ولعلهما كانا من ذوي الجاه والسلطان في البصرة، فقد ذكر الآمدي أنه نصح أبا أحمد طلحة بن الحسن بن المثنى أن يهرب من وجه أبي القاسم البريدي بسبب ما كان

(١) انباء الرواة، ج ١، ص ٢٨٥.

(٢) معجم الأدباء، ج ٨، ص ٨٦.

بينهما من عداً وتدبر كل واحد منهما على صاحبه في القبض عليه ، فما مضت الأيام حتى قبض البريدي عليه وقتله <sup>(١)</sup> . وتذكر كتب التاريخ أنه في سنة ٣٣٢ هـ توفي أبو عبد الله البريدي وانتصب أخوه أبو الحسين مكانه ، فثار عليه ابن أخيه أبو القاسم عبد الله بن عبد الله البريدي وتولى مكانه بعد أن هرب الأول إلى هجر ، فهل كان أبو أحمد طلحة بن الحسن بن المشي من أنصار أبي الحسين البريدي ، وأن أبا القاسم البريدي حين هزم أخاه قضى على خصومه وفيهم أبو أحمد طلحة ؟ اني أرجح ذلك لأن هذه هي الفرصة الوحيدة التي أتاحت لأبي أحمد أن يتمكن من السلطة بحيث يتدبر لأبي القاسم البريدي للقضاء عليه ، وما سوى ذلك فقد كانت البصرة تحت حكم أبي عبد الله البريدي والد أبي القاسم حتى سنة ٣٣٢ هـ ، إلى أن كان ممن نورة أبي الحسين البريدي ، ثم استيلاء أبي القاسم البريدي على الحكم حتى سنة ٣٣٦ هـ حيث حاربه معز الدولة البويهى ونفاه إلى بغداد ، وبقي فيها إلى حين وفاته سنة ٣٤٩ هـ <sup>(٣)</sup> .

وكتب الآمدي بعد ذلك لقاضي البلد "أبي جعفر بن عبد الواحد الهاشمي" <sup>(٤)</sup> على الوقوف التي تليها القضاة ويحضر به في مجلس حكمه ، ثم لأخيه

- (١) معجم الأدباء ، ج ٨ ، ص ٩٠ - ٩٣ .  
 (٢) الهمداني - تكملة تاريخ الطبري - ص ١٧٢ ، البداية والنهاية ج ١ ص ٢٠٨ .  
 (٣) الهمداني ، ص ٢١٧ وما قبلها .  
 (٤) أنظر نسبه في السمعاني - كتاب الأنساب - ص ٥٨٨ .

أبي الحسن محمد بن عبد الواحد لما ولي قضاء البصرة ثم لزم بيته إلى أن مات<sup>(١)</sup> . ويذكر ياقوت أنه كان قد ولي القضاء بالبصرة في سنة نيسف وخمسين وثلاثمائة رجل لم يكن عندهم بمنزلة أبي الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي<sup>(٢)</sup> وبذلك يكون الآمدي قد ترك العمل في هذه السنة ولزم بيته إلى أن مات .

د - وفاته : اتفقت كتب التراجم على أن وفاة أبي القاسم الآمدي كانت في البصرة<sup>(٣)</sup> . إلا أنها اختلفت في تحديد سنة الوفاة . فقد أورد ابن النديم (ت ٣٨٥ هـ) في ترجمة حياته ما نصه : "من أهل البصرة ، قريب العهد ، وأحسبه حياً"<sup>(٤)</sup> . وقد أورد ياقوت نص ابن النديم السابق ، ولكنه عقب عليه بقوله : "ثم وجدت كتاب القوافي للبرّد بخط أبي منصور الجواليقي ذكر في أسناده أن عبد الصمد بن حنيش النحوي قرأه على أبي القاسم الآمدي في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة"<sup>(٥)</sup> . وقال ياقوت أيضاً : "وفي تاريخ هلال بن المحسن في هذه السنة يعني في سنة سبعين ، مات الحسن

- 
- (١) معجم الادباء ج ٨ ، ص ٨٦-٨٧ ، انباء الرواة ج ١ ، ص ٢٨٥ .  
 (٢) معجم الادباء ج ٨ ، ص ٨١ .  
 (٣) معجم الادباء ج ٨ ، ص ٧٥ ، انباء الرواة ج ١ ، ص ٢٨٥ ، الزركلي - الاعلام - ج ٢ ، ص ١٩٩ .  
 (٤) الفهرست ، ص ١٥٥ .  
 (٥) معجم الادباء ج ٨ ، ص ٧٥ .

ابن بشر الآمدي<sup>(١)</sup> . وقد أورد القفطي (ت ٦٤٦ هـ) أن وفاة أبي القاسم  
 الآمدي كانت سنة ٣٧٠ هـ<sup>(٢)</sup> . أما السيوطي (ت ٩١١ هـ) فقد ذكر أن وفاة  
 الآمدي كانت سنة ٣٧١ هـ<sup>(٣)</sup> ، وإلى مثل هذا الرأي ذهب حاجي خليفة<sup>(٤)</sup>  
 (ت ١٠٦٧ هـ) والخوانساري<sup>(٥)</sup> (ت ١٣١٣ هـ) .

وأجد نفسي ميّالا إلى ترجيح وفاة الآمدي سنة ٣٧٠ هـ للأسباب

الآتية :

(١) ان الفهرست - وهو أقرب المصادر عهدا بأبي القاسم الآمدي -  
 لم يذكر سنة الوفاة . وقد أحسن ابن النديم في تحرّزه بكلمة "أحسب" لعدم  
 تيقنه من ذلك .

(٢) ان ياقوتا قد نقل عن تاريخ هلال بن المحسن (٣٥٩ - ٤٤٨ هـ)  
 وفيه أن وفاة الآمدي كانت سنة ٣٧٠ هـ . ويعتبر تاريخ هلال أقرب المصادر  
 عهدا بالآمدي بعد الفهرست . وقد وثق ياقوت هلالا هذا قال : " وهو حفيد  
 أبي اسحاق الصابي الكاتب المشهور - كان أدبيا كاتباً فاضلاً له معرفة

- 
- (١) معجم الأدباء، ج ٨، ص ٧٥ .  
 (٢) انباه الرواة، ج ١، ص ٢٨٨ .  
 (٣) بنسبة الوفاة، ص ٢١٨ .  
 (٤) كشف الظنون، ج ٢، ص ١٦٣٧ .  
 (٥) روضات الجنات، ص ٢١٩ .

بالعربية واللغة<sup>(١)</sup>.

- (٣) لا عبرة فيما ورد على كتاب القواني للمبرد بخط أبي منصور الجواليقي من أنه قرئ على الآمدي سنة ٣٧١هـ ، لأن أبا منصور هذا يعتبر متأخرا في الزمن نسبيا (٤٦٦-٥٣٩هـ)<sup>(٢)</sup> وقد يكون الخطأ من وهم النساخ .
- (٤) ان ياقوتا وقد مرض للروايات المختلفة المتعلقة بحياة الآمدي في "معجم الأدباء" ما ذكر في "معجم البلدان" أن وفاته كانت سنة ٣٧٠هـ<sup>(٣)</sup>
- (٥) ان القفطي - ويعتبر كتابه "انباء الرواة" أقرب كتب التراجم التي تلت ياقوتا يذكر أن وفاة الآمدي كانت سنة ٣٧٠هـ وليس في ترجمة القفطي للآمدي ما يوحي الى أنها نقلت عن ياقوت .
- (٦) يبدو أن السيوطي قد تردد بأن وفاة الآمدي كانت سنة ٣٧٠هـ بعد اطلاعه على رواية ياقوت عن أبي منصور الجواليقي فذهب الى أن الوفاة كانت سنة ٣٧١هـ وما يؤكد ذلك أن رواية السيوطي تكاد تكون طبق الاصل من الترجمة في "معجم الأدباء" ، وكذلك الترجمة في "روضات الجنات" للخوانساري .

(١) معجم الأدباء ج ١٩ ص ٢٩٧ وقد طبع بعض أجزاء من تاريخ هلال هذا وألحق مع كتاب "الوزراء والكتاب" طبعة الالباء اليسوميين، بيروت، والجزء الذي يذكر الآمدي لا يزال مفقودا .

(٢) وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٤٢٦ .

(٣) معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٧ .

هذا وقد ذكر السيد أحمد صقران وفاة الآمدي كانت سنة ٣٧٠ هـ  
 وذلك في تحقيقه كتاب الموازنة<sup>(١)</sup> ولا ندري هل استند في ذلك الى مخطوطات  
 كتاب "الموازنة" أو الى كتب التراجم . وقد جاء على صدر الجزء المصوّر - مسن  
 كتاب الموازنة - نسخة دار الكتب المصرية ترجمة للآمدي نقلا عن كتاب "طبقات  
 النحويين واللفصويين" لأبي المحاسن عبد الباقي بن متى القرشي اليماني<sup>(٢)</sup> أن  
 وفاة أبي القاسم الآمدي كانت سنة ٣٧٠ هـ في خلافة الخليفة الطائع رحمه الله.

---

(١) الموازنة ، ج ١ ، ص ٣٠

(٢) هذا الكتاب غير مطبوع .

## ٤٠ شيوخه :

سنحاول فيما يلي أن نلّم بشيء من ثقافة هؤلاء الشيوخ الذين أجمعت كتب التراجم على تتلمذ الآمدي لهم<sup>(١)</sup> ، وبالتالي لنتلّس آثار هذه التلمذة في ثقافة الآمدي وآثاره الأدبية .

(١) الحامض : هو سليمان بن محمد أبو موسى النحوي البغدادي، كان أحد المذكورين من العلماء بنحو الكوفيين، أخذ عن أبي العباس ثعلب، وهو المقدم من أصحابه ، ومن خلفه بعد موته ، وجلس مجلسه وتوفي في بغداد سنة ٣٠٥ هـ .<sup>(٢)</sup>

(٢) الزجاج (ت ٣١٠ هـ) : هو أبو اسحاق إبراهيم بن محمد السري الزجاج، أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه ، وكان من يريد أن يقرأ على المبرد يعرض عليه أولاً ما يريد أن يقرأه .<sup>(٣)</sup>

وقد استشهد الآمدي بأبي اسحاق الزجاج في موضعين من كتاب "الموازنة" : أولهما : في شرح الآية الكريمة (ان الله لا يستحي أن يضرب

(١) راجع الصفحة ١٩ ، هامش رقم ٤ ، ٦٥٥ من هذا البحث .  
 (٢) أنظر : الفهرست ص ٥٧٩ ، ابن أبي عمير ص ١٦٥ ، الخطيب البغدادي ج ٩ ص ٦١ ، الزبيدي - طبقات الموفيين واللغويين - ص ١٧٠ ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ص ١٤٠ ، بغية الوعاة ، ص ٢٦٢ .  
 (٣) الفهرست ، ص ٦٠ .



مثلاً يعوضة فها فوقها) يقول الآمدي: "فها فوقها في الصفر، وهذا قول أبي العباس محمد بن يزيد المبرّد وأبي اسحق الزجاج" <sup>(١)</sup>.

وثانيهما: في قول الله عز وجل (هل أتى على الإنسان حوسن من الدهر) يقول الآمدي: "وقد قال أبو اسحق الزجاج وجماعة من أهل العربية... معناه ألم يأت؟ على سبيل التقرير" <sup>(٢)</sup>.

والقصة التي رواها أبو القاسم التنوخي عن أبي القاسم الآمدي أن أبا اسحق الزجاج حدثه قال... <sup>(٣)</sup> تؤكد صلة الآمدي بأبي اسحق وأخذه عنه.

(٣) الأخفش (ت ٣١٥ هـ): هو أبو الحسن علي بن سليمان، أخذ عن أبي العباس ثعلب، وأبي العباس المبرّد، وكان راوية للأخبار <sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن صلة الآمدي بأبي الحسن الأخفش أوثق من صلاته بغيره من الأساتذة، فقد روى عنه كثيراً ومعظم الروايات التي رفع أسنادها إلى أبي العباس ثعلب، وأبي العباس المبرّد هي رواية عن استاذ الأخفش. وقد ذكر الآمدي أنه قرأ على أستاذه الأخفش - كتاب "الكامل" للمبرّد <sup>(٥)</sup>.

(١) الموازنة، ج ١، ص ١٧٣.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٠٤.

(٣) راجع: معجم الأدباء، ج ٨، ص ٧٨-٨٠، وانباء الرواة، ج ١، ص ١٦٥.

(٤) الفهرست، ص ٨٣.

(٥) الموازنة، ج ١، ص ٥٢٤.

وكثيرا ما ينقل الآمدي آراء أستاذه بقوله : " أنشدنا أبو الحسن الأخفش قراءة عليه ، أو أخبرنا ، أو حدثنا <sup>(١)</sup> مما يؤكد كثرة ملازمة الآمدي له وأخذه عنه .

(٤) ابن السراج (ت ٣١٦ هـ) هو أبو بكر محمد بن السوسنجي ابن سهل البغدادي النحوي أخذ الأدب من أبي العباس المبرّد ، والبيهقي انتهى الرياسة في النحو بعد موت الزّجاج <sup>(٢)</sup> .

(٥) ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ هـ وفيها تأدّب وقرأ على علمائها اللغواً وأشعار العرب ثم قدم بغداد سنة ٣٠٨ هـ وأقام بها إلى أن مات سنة ٣٢١ هـ <sup>(٣)</sup> يقول عنه أبو الطّيب اللغوي : " انتهى إليه علم لغة البصريين ، وكان أحفظ الناس وأوسعهم علماً وأقدرهم على شعره ، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحاما في صدر خلف الأحمر ، وأبي بكر بن دريد ٠٠٠ وتصدّر في العلم ستين سنة <sup>(٤)</sup> " .

- 
- (١) أنظر : الموازنة ج ١ ص ٢١١ ، ٢٢٣ ، ٢٣٣ ، ٢٩١ ، ٢٥٨ ، ٢٧٠ ،  
والموازنة ج ٢ ص ١٦٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ١٢٦ ، ٢٨٠ ، والمؤتلف والمختلف ،  
ص ٢٨٠ ، ٢٩٠ ، ١٠٩ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،  
١٨٦ .  
(٢) أنظر : الفهرست ص ٦٣ .  
(٣) أنظر : نفس المصدر ، ص ٦١ ، معجم الأدباء ج ١٨ ص ١٢٨ ، وفيات  
الاعيان ج ٣ ص ٤٥٠ .  
(٤) مراتب النحويين ، ص ٨٤ .

ومن النصوص التي وردت عرضاً والتي تؤثّق صلة الآمدي بأبي بكر

ابن دريد وأخذه عنه ما يلي:

١- في ترجمة النوار الجرجسي يقول الآمدي: "شاعرنا له أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد"<sup>(١)</sup>.

٢- وأورد ابن الأنباري ما صورته: "حكى أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي قال: سألت أبا بكر بن دريد عن الكاغذ فقال: يقال بالسدال المبهمة وبالذال المعجمة وبالظاء المعجمة"<sup>(٢)</sup> إلى غير ذلك من الروايات المختلفة<sup>(٣)</sup>.

٦) نبطويه (ت ٣٢٣هـ)، هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة العتكي الأزدي، أخذ عن أبي العباس ثعلب، وأبي العباس البرد<sup>(٤)</sup>، ويقول الزبيدي: "كان أديبا متفننا في الأدب حافظاً لنقائض جريمو والفرزدق وشعر ذي الرمة - هم من الشعراء"<sup>(٥)</sup>.

- 
- (١) المؤلف والمختلف - نشر فراج - ص ٢٦٩.  
 (٢) نزهة الألباء ص ١٧٦، والنص بصيغة أخرى موجود في "درة الغواص" للمحرري ص ٢١.  
 (٣) أنظر: الموازنة ج ١ ص ١٠١، والمؤتلف والمختلف - نشر كركو ص ١٦.  
 (٤) أنظر: الفهرست ص ٨١، الخطيب البغدادي ج ٦ ص ١٥٩ - ١٦٢.  
 وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٠.  
 (٥) طبقات النحويين ص ١٧٢.

ومن النصوص التي توثق صلة الآمدي بنفطويه وأخذه عنه ما يلي :

- ١- في ترجمة أعشى بني قيس بن ثعلبة يقول الآمدي : " كان أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي النحوي المعروف بنفطويه أُملى علينا أَسْمَاءُ الأعاشي فذكر ثمانية منهم أعشى بني قيس بن ثعلبة <sup>(١)</sup> " .
- ٢- ما أورده ياقوت بأن الآمدي سمع كتاب القوافي لأبي العباس المبرد على نفطويه سنة ٣١٣ هـ <sup>(٢)</sup> .

---

(١) المؤلف والمختلف ، نشر كرنكو ، ص ١٢٠ .

(٢) راجع الصفحة ٢٠ هامش رقم ٤ من هذا البحث .

## ٥٥ رِوَاةُ الْآمَدِيِّ

(١) أبو علي محمد بن الملا السجستاني، ذكره الآمدي في مواطن متعددة من كتاب الموازنة<sup>(١)</sup>، ويبدو أن أبا علي هذا هو حلقة الوصل بين الآمدي وأبي سعيد السكري (ت ٢٧٥ هـ) الذي يكثر الآمدي من الرجوع إليه في كتابي "الموازنة" و"المؤتلف والمختلف". فقد ذكر الخطيب التبريزي في شرحه ديوان أبي تمام أنه كان قد قرأ شعر أبي تمام على الشيخ أبي القاسم القصباتي النحوي البصري والذي روى له ديوان أبي تمام عن أبي علي عهد الكرم بن الحسن السكري النحوي اللغوي عن أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي عن أبي علي محمد بن الملا السجستاني عن أبي سعيد السكري عن أبي تمام، بعضه قراءة عليه، وبعضه سماعاً منه<sup>(٢)</sup> وبعضه اجازة.

(٢) أبو الحسن موسى بن سليمان الهمداني، ذكره الآمدي في كتابيه "الموازنة"<sup>(٣)</sup> و"المؤتلف والمختلف"<sup>(٤)</sup>، ولا تحدثنا كتب التراجم بشيء عنه، غير أن الآمدي يرفع رواياته إلى أبي دلف هاشم بن محمد الخزاعي نقلاً عن ابن الأعرابي.

- (١) أنظر: الموازنة ج ١ ص ١٢، ١٣.  
 (٢) ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، ج ١ ص ٣.  
 (٣) الموازنة، ج ١ ص ٤٦-٤٧.  
 (٤) المؤتلف والمختلف، نشر كرنكو، ص ١٧٧.

## ٠٦ مؤلفات الآمدي:

لم يصلنا من مؤلفات الآمدي الا كتابا "الموازنة" و"المؤلف والمختلف" وهما مطبوعان، وسأحاول فيما يلي تبين هذين المؤلفين والكشف عن طبيعتهما والتطرق الى ما نسب اليه من الكتب الأخرى التي — مع الأسف الشديد — لم تصلنا حتى نهدى حكما عليها .

(١) كتاب المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء<sup>(١)</sup> وقد سبق الآمدي الى هذا النوع من التأليف والتسمية أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي التحوي المتوفى سنة ٢٤٥ هـ، في كتابه "المختلف والمؤلف في أسماء القبائل"<sup>(٢)</sup>.

وقد طبع كتاب "المؤلف والمختلف" للآمدي مرتين: الأولى: نشره الدكتور فريتس كرنكو مع معجم الشعراء للمزباني في القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ .

الثانية: نشره عبد الستار أحمد فراج في القاهرة سنة ١٣٨١ هـ (١٩٦١م). طبيعة الكتاب: الكتاب أشبه بمعجم للشعراء وهو مختصر جداً ذكر فيه الآمدي بعض النقاط المميّزة للشاعر ليسهل تفريقه عن غيره، وغالباً ما يقتصر على حادثة واحدة من حياته أو خبر من شعره . وقد بين الآمدي سببه

(١) الفهرست ص ١٥٥، معجم الأدباء ج ٨، ص ٨٥، معجم البلدان ج ١، ص ٥٧، انباء الرواة ج ١، ص ٢٨٧، بغية الوعاة ص ٢١٨ .  
(٢) كشف الظنون ج ٢، ص ١٦٣٢ .

تأليفه لهذا الكتاب في تفرقه بين الأشهب بن رميلة وابن رميلة الضسبي قال: " . . . ومن أجل ما يقع من الخلط في مثل هذه الأسماء المتفقة ألقت هذا الكتاب" <sup>(١)</sup>.

الناقلون عن المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء، اعتمده شهاب الدين الخفاجي في كتابه " طراز المجالس" <sup>(٢)</sup>، واعتمده الامام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) في كتابه "شرح شواهد المغني" <sup>(٣)</sup> وذكره البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) في مصادره التي اعتمد عليها في تأليف كتاب "خزانة الأدب" <sup>(٤)</sup> وأشار الألوسي البغدادي الى النقل عن كتاب الآمدي "المؤتلف والمختلف" في ثلاثة مواضع <sup>(٥)</sup> وقد أكثر المتأخرون من الرجوع اليه فسي التحقيق والنشر ومعارضة النصوص الأدبية.

القيمة الأدبية للكتاب يعتبر كتاب "المؤتلف والمختلف" معجماً للشعراء لا غنى لدارس الأدب من الرجوع اليه لا سيما وأن هنالك الكثير من الشعراء المقلين الذين تشابهت أسماؤهم وصار من المسير الرجوع اليهم أو التفرقة بينهم بعد أن فقدت أكثر دواوين الشعراء والقبائل. ويتميز الكتاب بنوع

(١) المؤلف والمختلف، نشر كركم، ص ٨.

(٢) طراز المجالس ص ١٤١ - ١٤٤.

(٣) شرح شواهد المغني، المطبعة البهية، مصر ١٣٢٢ هـ، ص ٣، ص ٥. وانظر: Brockleman (Enycl. of Islam, Vol. I, Column 1, p. 326).

(٤) خزانة الأدب، ج ١، ص ١٤.

(٥) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج ٢، ص ١٣٧، ١٣٧، ١٤٩.

خاص في التركيز على وفادة هؤلاء الشعراء على الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده . وقد حفظ لنا الكتاب الكثير من أسماء الرواة والمؤلفين والكتب والدواوين التي عفى عليها الزمن وأصبحت أثرا بعد عين والتي تعتبر سفرا جليلا لمؤرخي الحياة الأدبية . ولا تخفى قيمة الكتاب في مقارنة النصوص القديمة وتصحيح أسماء الشعراء في التحقيق والنشر .

(٢) كتاب "الموازنة" وسنعرض له فيما بعد .

(١)

(٣) كتاب في أن الشاعرين لا تتفق خواطرهما .

(٤) كتاب نشر المنظوم<sup>(٢)</sup>

(٣)

(٥) كتاب ما في عيار الشعراء بن طباطبا من الخطأ .

(٤)

(٦) كتاب فرق ما بين الخاص والمشارك من معاني الشعر . قال

ياقوت في شرحه له : " تكلم فيه على الفرق بين الألفاظ والمعاني السليمة تشترك العرب فيها ولا ينسب مستعملها إلى السرقة، وإن كان قد سبق اليها، وبين الخاص الذي ابتدعه الشعراء وتفرّدوا به ومن اتبعهم وما قصّر في إيضاح ذلك وتحقيقه"<sup>(٥)</sup> .

(١) الفهرست ص ١٥٥، معجم الأدباء ج ٨، ص ٨٥، انباء الرواة ج ١، ص ٢٨٨ .

(٢) نفس المصادر والصفحات .

(٣) نفس المصادر والصفحات .

(٤) نفس المصادر والصفحات .

(٥) معجم الأدباء، ج ٨، ص ٨٨ .



- (٧) كتاب تفضيل شعرا مري القيس على الجاهليين<sup>(١)</sup> .
- (٨) كتاب معاني شعرا البحري<sup>(٢)</sup> .
- (٩) كتاب الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام<sup>(٣)</sup> . وابن عمار هذا هو أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار القطريلي المعروف بالعزير<sup>(٤)</sup> . وقد ذكر الآمدي كتاب الرد على ابن عمار في "الموازنة" وخسب القاري<sup>(٥)</sup> بين أن يعتبره جزءا من كتاب "الموازنة" أو أن يعتبره كتابا منفصلا<sup>(٥)</sup> .
- (١٠) كتاب شدة حاجة الانسان الى أن يعرف نفسه<sup>(٦)</sup> .
- (١١) كتاب فعلت وأفعلت في النحو<sup>(٧)</sup> . الذي يقول عنه ياقوت "غاية لم يصنف مثله"<sup>(٨)</sup> .
- (١٢) كتاب الحروف من الأصول في الأضداد<sup>(٩)</sup> . يقول ياقوت " رأيت

- 
- (١) الفهرست ص ١٥٥ ، معجم الأدباء ج ٨ ، ص ٨٥ ، انباء الرواة ج ١ ، ص ٢٨٨ .
- (٢) نفس المصادر والصفحات .
- (٣) نفس المصادر والصفحات .
- (٤) الموازنة ج ١ ، ص ١٣٥ .
- (٥) المصدر نفسه .
- (٦) الفهرست ص ١٥٥ ، معجم الأدباء ج ٨ ، ص ٨٥ ، انباء الرواة ج ١ ، ص ٢٨٨ .
- (٧) معجم الأدباء ج ٨ ، ص ٨٦ ، السيوطي ص ٢١٨ . هذا وقد سبق الآمدي نحاة ألفوا في هذا الموضوع نذكر منهم - الزحاج ( راجع الفهرست ص ١٦١ ، ابن الانباري ص ١٦٧ ) ، وابن السراج ( راجع الفهرست ص ٦٣ ) .
- (٨) معجم الأدباء ج ٨ ، ص ٨٦ .
- (٩) معجم الأدباء ج ٨ ، ص ٨٦ ، انباء الرواة ج ١ ، ص ٢٨٧ .

بخطه في نحو مائة ورقة<sup>(١)</sup> .

(١٣) كتاب ديوان شعره<sup>(٢)</sup> . نحو مائة ورقة<sup>(٣)</sup> .

(١٤) كتاب الأبيات المفردة<sup>(٤)</sup> .

(١٥) كتاب معاني شعر أبي تمام<sup>(٥)</sup> ، وقد أشار ابن المستوفى الى

الكتابين الآخرين في كتابه "النظام"<sup>(٦)</sup> . وأشار الخطيب التبريزي الى كتاب  
"معاني شعر أبي تمام"<sup>(٧)</sup> .

(١٦) معجم الشعراء - ذكره بروكلمان نقلاً عن التيجاني فسي

"التحفة" ص ١٧٩ ، ولم نهتد الى كتاب التحفة هذا<sup>(٨)</sup> .

(١٧) كتاب شرح الحاسة لأبي تمام - ذكره اسماعيل باشا

البغدادى في كتابه هدية العارفين - المجلد الأول - صفحة ٢٧١ .

(١٨) شرح ديوان المسيب ابن علس - ذكره السيوطي في كتابه

"شرح شواهد المغني" صفحة ٤١<sup>(٩)</sup> .

(١) معجم الأدباء، ج ٨، ص ٨٦ .

(٢) معجم الأدباء، ج ٨، ص ٨٦، انباء الرواة، ج ١، ص ٢٨٨ .

(٣) معجم الأدباء، ج ٨، ص ٨٦ .

(٤) ديوان أبي تمام - شرح الخطيب التبريزي - ج ١، ص ٢٥ .

(٥) نفس المصدر والصفحة .

(٦) نفس المصدر والصفحة .

(٧) نفس المصدر، ص ٣ .

(٨) تاريخ الأدب العربي، ج ٢، ص ١٧٧ .

(٩) وقد أشار الى ذلك بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج ٢، ص ١٧٧ .

(١٩) وأضاف العيني أبا القاسم الآمدي مع جامعي أشعار الأعشى  
(١)  
الكبير ميمون بن قيس .

(٢٠) كتاب الشعراء المشهورين: وقد أشار إليه الآمدي في كتاب  
"المؤتلف والمختلف" في المواضع التالية:

- أ - في ترجمة حياة الأشهب بن ربيعة . قال الآمدي: "وقد ذكرت أخباره  
وأشعاره في كتاب الشعراء المشهورين" .  
ب - في ترجمة حياة الأخضر المهبلي قال الآمدي: "وقد ذكرت أخباره  
ومختار شعره مع بني هاشم في أشعار المشهورين" .  
ج - وعن عمرو بن أحمر الباهلي قال الآمدي: "وقد ذكرت حاله وأشعاره  
مع الشعراء المشهورين" .  
د - وعن الأحوص بن أبي الأفلح قال الآمدي: "وقد ذكرت أشياء من أخباره  
ونتفا من شعره مختارة في كتاب المشهورين" . وقد أشار بروكلمان إلى هذا  
الكتاب بالاستدلال من المؤلف والمختلف" .

- (١) ديوان الأعشى - تحقيق جابر - المقدمة ص ٢١ ، وانظر ديوان الأعشى  
شرح الدكتور محمد حسين ، طبعة مصر ، المقدمة صفحة (ل) . وقول العيني  
نقلا عن ديوان الأعشى مخطوطة مكتبة باريس Suppl. Ar. 2168 ، ج ٢ ،  
ص ٢٩٣ ، ص ١٤ .  
(٢) المؤلف والمختلف ، نشر كرنكو ، ص ٣٣ .  
(٣) نفس المصدر ، ص ٣٥ .  
(٤) نفس المصدر ، ص ٤٧ .  
(٥) نفس المصدر ، ص ٤٨ .  
(٦) تاريخ الأدب العربي ، ج ٢ ، ص ١٧٧ .

(٢١) كتاب الأمالي، ذكره الحريري قال، "حكى أبو القاسم الآمدي في أماليه عن أبي عثمان المازني قال . . . (١)"

(٢٢) كتاب الرباب، ذكره الآمدي في "المؤتلف والمختلف" حين ترجم لحنيفة بن طريف العكلي الراجز قال، "وهو الذي راجز ليلى الأخيلية وفضحها في قصة قد ذكرت في كتاب الرباب" (٢).

(٢٣) كتاب أشعار بني يربوع، ذكره الآمدي في "المؤتلف والمختلف" حين عرض لترجمة حياة الأحوص زيد بن عمر من بني يربوع قال، " . . . وله في كتاب بني يربوع أشعار مما تنخلته من قبائلهم" (٣).

(٢٤) كتاب تبين غلط قدامة بن جعفر في نقد الشعر، وقد أشار إليه الآمدي في مواضع مختلفة من كتاب الموازنة . ففي باب المطابق يقول الآمدي، "وهذا باب، أعني المطابق - لقبه أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب في كتابه المؤلف في نقد الشعر "المتكافئ" . وسمى ضرباً من المتجانس المطابق . . . وما علمت أن أحداً فعل هذا غير أبي الفرج" (٤) وفي موضع آخر يقول الآمدي "في تبين غلط قدامة في تفسير قول عمر بن الخطاب رضي الله

(١) درة الفواص، ص ٣٨، وانظر مقال بروكلمان في Encycl. of Islam, Vol. I, p. 326.

(٢) المؤلف والمختلف، نشر كرتكو، ص ٩٧، وقد أشار إليه بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج ٢، ص ١٧٧.

(٣) المؤلف والمختلف، نشر كرتكو، ص ٤٩.

(٤) الموازنة، ج ١، ص ٢٧٤، وقابل، قدامة، نقد الشعر، ص ٩٢ - ٩٣.

عنه عن زهير بن أبي سلمى أنه كان لا يعاظم بين الكلام ، "وقد ذكرت ذلك في كتاب بينت فيه جميع ما وقعت عليه من سهوه وغلطه" <sup>(١)</sup> وفي موضع آخر يقول الآمدي ، "وقد غلط بعض المتأخرين في هذا الباب ممن ألف في "نقد الشعر" كتابا غلطا فاحشا ٠٠٠ وقد بينت قبح غلطه في هذا تبينا شافيا مستقص في كتاب منفرد" <sup>(٢)</sup> .

وقد أشار إلى هذا الكتاب ابن حجة الحموي، ففي باب ائتلاف اللفظ مع المعنى يقول: "هذا النوع ذكره قدامة ٠٠٠ وترجمه منفردا ولم يبين معناه وشرحه الآمدي وأطال" <sup>(٣)</sup> . هذا وقد اعتمد ابن أبي الاصبغ المصري (ت ٦٥٤ هـ) كتاب الآمدي في تبين غلط قدامة - في تأليفه كتاب "بديع القرآن" <sup>(٤)</sup> ، وذهب إلى أنه شرع في تأليف كتاب سماه "الميزان في الترجيح بين كلام قدامة وبين خصومه" <sup>(٥)</sup> لم يتمه .

- 
- (١) الموازنة، ج ١، ص ٢٧٦-٢٧٧، وقابل: قدامة، نقد الشعر، ص ١٠٣ .  
 (٢) الموازنة، ج ٢، ص ٣٦٨ .  
 (٣) خزانة الأدب، ص ٤٣٧، وقابل قدامة، نقد الشعر، ص ٨٤ .  
 (٤) بديع القرآن، ص ٨٤ .  
 (٥) نفس المصدر، ص ١٦٦ .

## ٧٠ تلامذة الآمدي

(١) أبو الحسين علي بن دينار، وقد ورد اسمه على صدر كتاب "المؤتلف والمختلف" رواه عن الآمدي للشيخ أبي غالب بن بشران<sup>(١)</sup> وقد ترجم له ياقوت، فهو: علي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار الكاتب، بصري الأصل، واسطي المولد والنشأة، وكان شاعرا مجيذا، شارك المتنبي في أكثر مدوحيه كسيف الدولة بن حمدان وابن العميد وغيرهما. ولد سنة ٣٢٣ هـ وتوفي سنة ٤٠٩ هـ. وقد أشار ياقوت إلى رواية ابن دينار لأبي غالب محمد بن بشران كتب أبي القاسم الآمدي<sup>(٢)</sup>.

(٢) عبد الصمد بن حنيش، ذكره ياقوت في صدر ترجمته لأبي القاسم الآمدي قال: "وجدت كتاب القوافي بخط أبي منصور الجواليقي ذكر في أسناده أن عبد الصمد بن حنيش النحوي قرأه على أبي القاسم الآمدي<sup>(٤)</sup> وقد ذكره السيوطي قال: "عبد الصمد بن أحمد بن حنيش بن القاسم الخولاني الحمصي أبو القاسم ٠٠٠ وقد حكى عن المتنبي وغيره<sup>(٥)</sup>".

(٣) أبو علي، عبد الكريم بن الحسن بن الحسين بن حكيم العسكري النحوي واللفوي. وقد سبقت إشارة الخطيب التبريزي إلى رواية أبي علي هذا عن أبي القاسم الآمدي<sup>(٦)</sup>.

(١) المؤتلف والمختلف، نشر كركوك، ص ٧، المؤلف والمختلف، نشر فراج ص (ك).  
 (٢) أنظر: معجم الأدباء، ج ٥، ص ٣٧٨-٣٨٩.  
 (٣) نفس المصدر، ص ٣٧٩. (٤) معجم الأدباء، ج ٨، ص ٧٥.  
 (٥) بغية الوعاة، ص ٣٠٦. (٦) لاحظ ص ٣٥ خامس ٢ من هذا البحث.

الباب الثاني  
كتاب الموازنة

## الباب الثاني "كتاب الموازنة"

### (أ) الحركة النقدية التي أثارها أبو تمام والبحري

ليست هنالك صورة واضحة لطفولة الشعر الجاهلي حتى نقف على نشأة القصيدة الجاهلية وتكامل عناصرها الفنية . وما من شك في أن الشاعر القديم كان يأخذ فنه بقيود ورسوم كثيرة تتناول اللفظ والموضوع والنهج العام .<sup>(١)</sup> وان من يرجع الى طوال "النماذج الجاهلية" كما يقول الدكتور شوقي ضيف ليلاحظ في وضوح أنها تأخذ نمطا معيناً في التعبير والأداء<sup>(٢)</sup> . ولا شك أن الأسواق الأدبية في الجاهلية عملت على تقارب أنماط الشعر وتبلور شخصية القصيدة العربية على الصورة التي وصلتنا قبيل الاسلام .

وذهب ابن سلام الجهمي الى أن أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل<sup>(٣)</sup> . وأورد ابن قتيبة أن أول من قصد القصائد إنما ابتدأ بذكر الديار والدم والآثار ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها ثم وصل ذلك بالتمسيب فشكلاً شديدة الوجد وفرط الصباية ثم وصف الرحلة وما بها من فلوات ووحوش ومشاق وانتقل

(١) ألفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص ٦ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) طبقات فحول الشعراء ، ص ٣٣ .



بعد ذلك الى الغرض الذي نظمت من أجله القصيدة<sup>(١)</sup>.

وقد بقي نهج القصيدة الجاهلية وشكلها الخارجي هذا متبعاً حتى العصر العباسي حيث أخذ الذوق الأدبي يتبدل نتيجة الاحتكاك الواسع الطويل مع الشعوب المتحضرة المستقرة والتي لم تألف البر والتنقل والغزو ومطاردة الوحوش، كل ذلك أدى الى عدم استساغة التفجع والهكاه على الأطلال، ووجدت طبقة من الشعراء يزعمون الى التجديد في فنهم والثورة على الأساليب العربية القديمة، فبدلاً من افتتاح القصائد بذكر الأطلال أراد أبو نواس استهلال القصائد بذكر الخمر:

صفة الطلول بلاغة الفسدم      فاجعل صفاتك لابنة الكرم  
وهذا أبو تمام يبدأ ملحمة فتح عمورية بقوله:

السيف أصدق أنباء من الكتب      في حده الحد بين الجد واللعب

أما دوافع التجديد في شكل القصيدة الخارجي وإن غدتها الشعبية فقد كانت نتيجة حتمية للانتقال من المجتمعات البدوية البدائية في العصر الجاهلي الى المجتمعات المتحضرة المستقرة في العصر العباسي، وقد حاول أحد الشعراء المحدثين<sup>(٢)</sup> في عصرنا التعبير عن وسائل الحضارة الحديثة

(١) الشعراء والشعراء، ج ١، ص ٢٠.  
(٢) الشاعر هو أحمد شوقي.

بأساليب القدماء فجاء شعره نابيا . ومن عجب أن نجد بعض أنصار الشعر القديم كإبن قتيبة ممن يرون أن الله لم يقصر الشعر على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم<sup>(١)</sup> ينظر على المحدثين التجديد في شكل القصيدة الخارجي يقول: "وليس لتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين . . . فيقف على منزل عامر، أو يبكي عند مشيد البنيان لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر، والرسم العافي، أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير، أو يرد على المياه العذاب الجواري لأن المتقدمين وردوا على الأواجن الطوامي، أو يقطع إلى الممدوح منابت النرجس والآس والورد، لأن المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والحنوة والحرارة"<sup>(٢)</sup>

هذا في شكل القصيدة الخارجي، أما كيفية الصياغة فقد كان للعرب في جاهليتهم مذاهب في تأسيس الشعر والتصرف في معانيه استأثرت بعيل الرواة وأهل العلم بالشعر من شيوخ اللغة وأنصار الشعر القديم من النقاد . وبضي الزمن نشأت مجموعة من القواعد والأسس التي لا يحكم للشاعر أو عليه بالاساءة أو بالاحسان الا بالفحص عنها، وتأمل مأخذ منها،

(١) الشعر والشعراء، ج ١، ص ١١٠ .

(٢) نفس المصدر، ص ٢٢٠ .

ومدى شأوه فيها<sup>(١)</sup> . هذه القواعد عرفت بعمود الشعر<sup>(٢)</sup> .

وقد لخص الشيخ أبو علي المرزوقي (ت ٤٢١ هـ) معايير عمود الشعر عند العرب في سبعة أبواب قال: "انهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف . . والمقاربة فسي التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتتامها على اختيار من لذى الوزن ، وناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكله اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما"<sup>(٣)</sup> . وعقب المرزوقي على ذلك بقوله ، "فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب ، فمن لزمها بحقها وبنى شعره عليها ، فهو عند هم الفيلق المعظم ، والمحسن المقدم ، ومن لم يجمعها كلها فبقدر سهمته منها يكون نصيبه من التقدم والاحسان ، وهذا اجاع مأخوذ به ومتبع نهجه حتى الآن"<sup>(٤)</sup> .

وكما حفظ ترتيب القصيدة شكلها الخارجي ، فقد حفظت هذه الأبواب تركيب القصيدة والبيت والقافية . ففي القصيدة كانوا يتوخون نوعا من الوحدة تربط أجزاء القصيدة وتجمع شتات الموضوعات فيها . روي عن خلف الأحمر أنه قال: " أجود الشعر ما رأيت متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ،

(١) شرح الحماسة ، المقدمة ، ص ٣ .

(٢) نفس المصدر ، الصفحة .

(٣) نفس المصدر ، ص ٩ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١١ .

فتعلم من ذلك أنه قد أفرغ أفرافاً واحداً، وسبك سبكاً واحداً فهو يجري على  
 اللسان كما يجري الدهان<sup>(١)</sup> . وإلى مثل هذا الرأي ذهب الجاحظ ، وأورد  
 قول عمر بن لجأ لبعض الشعراء : أنا أشعر منك قال : وم ذاك؟ قال :  
 لأنني أقول البيت وأخاءه ، وأنت تقول البيت وابن عمه<sup>(٢)</sup> . وهاب رؤية شعر  
 ابنه فقال : "ليس لشعره قران، وجعل البيت أخا البيت إذا أشبهه وكان  
 حقه أن يوضع إلى جنبه"<sup>(٣)</sup> . وإلى مثل رأي الجاحظ ذهب ابن قتيبة<sup>(٤)</sup>  
 والآمدي<sup>(٥)</sup> . وقد شبه الحاني القصيدة العربية بالإنسان في اتصال بعض  
 أعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه في صحة التركيب غادر  
 الجسم ذا غاهة تتخون محاسنه<sup>(٦)</sup> .

وكان الرواة وشيوخ اللغة يفضلون البيت التام المستغني بمعناه  
 عن غيره . فقد أورد ابن سلام الجحفي أن الفرزدق يفضل غيره من الشعراء في  
 أنه كان أحقرهم بيتاً مقلداً ، والمقلد البيت المستغني بنفسه المشهور الذي  
 يضرب به المثل<sup>(٧)</sup> ، وذلك لحاجتهم إلى شوارد الأبيات وسواثر الأمثال . وإلى

- 
- (١) البيان والتبيين، ج ١، ص ٦٢ .  
 (٢) نفس المصدر، ص ٢٠٦ .  
 (٣) نفس المصدر، ص ٢٢٨ .  
 (٤) الشعر والشعراء، ج ١، ص ٣٤ .  
 (٥) الموازنة، ج ١، ص ٨١ .  
 (٦) زهر الآداب، ج ٣، ص ١٧ . وانظر الحاني، النقد الأدبي، ص ٨٨ .  
 (٧) طبقات فحول الشعراء، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

ذلك الرأي يذهب الآمدي<sup>(١)</sup> والقاضي الجرجاني<sup>(٢)</sup>.

أما القافية، فالشعر الجيد عندهم ما اذا سمع صدر البيت منه  
عرفت قافيته، فكان السامع يكون مترقبا لها<sup>(٣)</sup>.

ان طرق التعبير والأداء في القصيدة الجاهلية والتي اصطلاح  
عليها اسم عمود الشعر بقيت المنظار الذي يميز فيه الرواة جيد الشعر من  
رديته، ولما كان الشعر الأموي لا يختلف في طبيعته وموضوعاته عن الشعر  
الجاهلي لدرجة أن أبا عمرو بن العلاء قد همّ أن يأمر أحد صبيانته بكتابته<sup>(٤)</sup>،  
فان مقاييس عمود الشعر ظلت رافضة بالفرض.

أما في العصر العباسي حين تبدل الذوق الأدبي، واتسمت  
آفاق الشعراء بفضل الثقافات الوافدة، وتنوعت أساليب العصر، وجسدت  
طائفة من الشعراء أناحت عن القديم وتطلّعت الى نوع من التميّز والتجديد،  
واستطاعت أن تأتي بنوعية أخرى من الشعر قادرة على انتزاع الاعجاب  
وتلبية أذواق النخبة من الناس، فهذا أبو نواس يتخصص في موضوع الخمر،  
وأبو العتاهية يتخصص في الزهد، ثم ان بشارا وأبا نواس ومسلم بن الوليد

(١) الموازنة، ج ٢، ص ١٠٩.

(٢) الوساطة، ص ٣٣.

(٣) انظر البيان والتبيين، ج ١، ص ١١٦، الشعر والشعراء، ج ١، ص ٣٤.

الموازنة، ج ١، ص ٢٨١.

(٤) ابن رشيق، المعجزة، ج ١، ص ٩٠.

ومن تقيّلهم رأوا هذه الأنواع التي وقع عليها اسم البديع وحي الاستعارة، والطباق، والتجنيس، منثورة متفرقة في أشعار المتقدمين فقصدوها وأكسثروا<sup>(١)</sup> منها، ثم إن أبا تمام حاول التجديد في طبيعة الاستعارة والطباق، " فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض. . . " <sup>(٢)</sup>

إن مذهب أبي تمام في الاستعارة حيث أصبح وجه الشبه بين المستعار والمستعار له أمر مطلباً وأكثر تخيلاً قد تغلّت من عبود الشعر، ولم يستطع الرواة تذوق شعر أبي تمام من خلال منظارهم الضيق. ولم يك بدعاً من القول أن يصف ابن الأعرابي شعر أبي تمام بقوله: " إن كان هذا شعراً فلام العرب باطل " <sup>(٣)</sup>

وقد انقسم الناس بازاء شعر أبي تمام الى فريقين،

(١) فريق فضل أبا تمام وهم أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميل الى التدقيق وفلسفي الكلام.

(٢) فريق ظلّ يرى المثل الأعلى في الشعر الجاهلي وهؤلاء هم الرواة وشيوخ اللغة.

(١) أنظر، الموازنة، ج ١، ص ١٨.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) نفس المصدر، ص ١٩.

ولما جاء البحري بالشعر السهل دون أن يكّد خاطره في مخالفة  
عمود الشعر تمصّب له اللغويون وأنصار الشعر القديم ووضموه بازاء أبي  
تمام في المفاضلة . وذهب الآمدي الى ذوق أنصار الشعر القديم في تفضيل  
طريقة البحري الشعرية والالتزام بعمود الشعر ، فحرم نفسه تذوّق الكثير  
من العناصر المتألقة في شعر أبي تمام الذي كان أدقّ تعبيرا عن ذوق  
القرن الثالث الهجري الحضاري من شعر البحري الذي تعود أصوله الى  
التراث . ومثل هذه النظرة الى الشعر على أنه تراث جماعي تلتقى الموهبة  
الفردية، وتحول دون المحاولات التجديدية فيه . ان عمود الشعر يجب أن  
يستخلص من روائع الآثار بغض النظر عن قلتها بالقياس الى غيرها ، وكان<sup>(١)</sup>  
يجب أن ينظر الى أبي تمام من خلال روائعه لا من خلال عمود الشعر .

وقد ناقش الشاعر ت.س. اليوت قضية التمسّص للتراث وتعلّق أهل  
اللغة بالنماذج القديمة قال : "قد يكون الأقدمون عظما" يستحقون التقدير  
ولكن يجب أن ينظر الى انجازاتهم الفنية على أنها مصادر غير قادرة على  
التطور لاغناء اللغة، علينا أن لا نقف في وجه الأدباء الناشئين واضعين  
في الأذهان فكرة أن كل ما يمكن ابداعه في اللغة قد أنجز<sup>(٢)</sup> . ان لفتنا

(١) أنظره نظرية المعنى في النقد العربي، ص ١٠٩ .

(٢) Eliot, T.S. "On Poetry and Poets", p. 57-58.

دائمة التطور، وطرق معيشتنا تتغير بتأثير التغيرات المادية في شتى المجالات، وإذا لم يكن عندنا هؤلاء الرجال القلائل الذين يجمعون بين الذوق العالي والقدرة الفائقة على التعبير، فإن قدرتنا ليس على التعبير وحده، ولكن حتى احساسنا بالعواطف الأولية سوف يتلاشى<sup>(١)</sup>. ويرى البيوت أن كل عصر يتطلب من الشعراء أغراضاً مختلفة وأن هذه الأغراض تتغير تبعاً لنتائج الشعراء المحدثين<sup>(٢)</sup> من ذلك فإن الشاعر الناجح - في رأيه - هو من يظل يحفز الشعور بأنه قد يأتي بجديد لم يأت به أسلافه.

ونحن من جهتنا نرى أن أبا تمام كان أصدق تعبيراً عن مطالب العصر العباسي الحضارية، وأكثر تلبية للذوق العالي عند الأرستقراطية الفكرية التي تطلعت في أهل المعاني وفلسفي الكلام، وكان يجب على الآمدي أن ينظر تغير الذوق في العصر العباسي عما قبله، ويقيم شعراي تمام من خلال قدرة الأخير على التعبير من هذا التغير. إن تأثير الآمدي بقيود عمود الشعر المحكمة الأغلال قد تحيف على كثير من شعراي تمام الذي كان ينزع إلى التجديد.

(١) Eliot, T.S. "On Poetry and Poets", p. 20.

(٢) Eliot, T.S. "The Use of Poetry", p. 141.



ب ( قيمة الموازنة كمنهج نقدي )

(١) فكرة الموازنة: أول ما يطالعنا من الموازنة بين الشعراء —

عند العرب في الجاهلية قصة حكومة أم جندب بين علقمة الفحل، وزوجها امرئ القيس، فتذهب الرواية الى أن علقمة الفحل احتكم مع امرئ القيس الى امرأته أم جندب. فقالت: قولا شعرا تصفان فيه الخيل على روى واحد وقافية واحدة، فقال امرؤ القيس قصيدة مطلعها:

خليلي مرأى على أم جندب لنقضي حاجات الفؤاد المعذب

وقال علقمة:

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقا كل هذا التجنب

ثم أنشداها جميعا، فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك، قال: وكيف ذاك؟ قالت: لأنك قلت:

فللسوط ألهب وللساق درة وللزجر منه وقع أخرج مذهب

فجهدت فرسك بسوطك، ومررت بساقلك. وقال علقمة:

فأدر كهن ثانيا من عنانه يمر كمر الراح المتحلب

فأدر ك طريدته وهو ثان من عنان فرسه، لم يضره بسوط، ولا مراه بساق ولا

(١)  
زجره .

وان صحت الرواية، يكون الجاهليون قد فطنوا الى فكرة الموازنة بين الشعراء في موضوع واحد على نفس الوزن والقافية، الا أن ذلك لا يكاد يتفق في شعر شاعرين مكثرين - كأبي تمام والبحري، وليس الوزن والقافية في الشعر الا ثوبا خارجيا، وقد ذهب الآمدي الى ذلك في بدء خطته في الموازنة، ثم عدل عنها - كما سيأتي - لما وجد أن ذلك لا يكاد يتفق مع المعاني التي هي القصد والغرض .

وأيا كان الأمر فان أسس المفاضلة بين الشعراء في الجاهلية، وحتى أوائل القرن الثالث الهجري كانت تقوم على الأحكام الجزئية، فيفضل الشاعر على غيره لقصيدة قالها، أو لبیت أبدعه . روى حماد الراوية أن علقمة بن عبدة قدم على قريش فانشد لهم قصيدته التي يقول فيها:

هل علمت وما استودعت مكنوم

- (١) أنظر الشعر والشعراء، ج ١، ص ١٤٥، الموازنة، ج ١، ص ٣٧، الاغاني ج ٢١، ص ٢٥، ٢٢، ٢٢٦، ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص ٥٤، ١١٨ .  
العمدة ج ١، ص ١٠٣ البيت العلوي، مواسم الأدب، ج ١، ص ٢٠٩ .  
(٢) راجع اختلاف حكم علماء الشعر واللغة على أفخر بيت قالته العرب في كتاب العمدة ج ١، ص ١٤٥، وراجع: أخطب بيت قالته العرب، وأنصف بيته، وأقنع بيت في كتاب "ديوان المعاني" للمسكري، ج ١، ص ١٠ - ١٣ .

فقالوا: هذه سبط الدهر، ثم عاد إليهم العام المقبل فأنشدهم:

طحا بك قلب في الحسان طروب

(١)

فقالوا: هاتان سبطا الدهر.

ويروى عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: أي

شعرائكم يقول:

فلست بمستبق أبا لا تلتسمه إلى شعث، أي الرجال المهذب؟

قالوا: النابغة، قال: هو أشعرهم<sup>(٢)</sup>، ومثل أبو عمرو بن العلاء عن أمدح

الناس، قال الذي يقول:

لمست بكفي كفه أبتغي الفنى ولم أدر أن الجود من كفه يعمدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الفنى أغدت وأعداني فبذرت ما عندي

(٣)

والبيتان لبشار بن برد.

وكانت أسس المفاضلة بين الشعراء عند ابن سلام (ت ٢٣٢ هـ)

في "الطبقات" أول كتاب ألف في النقد الأدبي عند العرب تقوم على

(١) الأغاني، ج ٢١، ص ٢٢٥.

(٢) طبقات فحول الشعراء، ص ٤٧، وانظر: كتاب "حسن التوسل" ص ١٤.

(٣) الرزباني، نور القبر، ص ٨٨ وقد نسب الصولي البيتين إلى ابن الخطيب المدني (انظر: أخبار البحري ص ٨١)، ونسبهما الأمدى إلى ابن الخطيب الحكي (انظر: الموازنة، الجزء المخطوط، ص ١٧٨).

تصرف القول في الأغراض المختلفة، وفكرة الكم مع الجودة وتغليب الكم .  
يقول عن الأسود بن يعفر : " وله واحدة طويلة رائعة لاحقة بأجود الشعر ،  
لو كان شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته " <sup>(١)</sup> وفي المفاضلة على أساس  
تعدد الأغراض وضع كثيرًا في الطبقة الثانية، وجميلًا في السادسة، وهو  
نفسه يقول : " وكان لكثير في التشبيب نصيب وافر ، وجميل يقدم عليه في  
النسيب ، وله في فنون الشعر ما ليس لجميل ، وكان جميل صادق المعجزة  
وكان كثير يتقوّل ولم يكن عاشقاً " <sup>(٢)</sup>

وذهب ابن قتيبة ( ت ٢٧٦ هـ ) الى المفاضلة بين الشعراء على  
أساس الطبع والتكلف في الشعر . فلم يتوصل الى مقياس عام يصدق على  
الشعر والشعراء ، وظلت أحكام أهل العلم على الشعراء متباينة فلم يتفقوا  
— كما يقول الآمدي — على أي الأربعة أشعر ؟ امرئ القيس والنابعة وزهير  
والأعشى ؟ ولا في جرير والفرزدق والأخطل ؟ ولا في بشار ومروان والسيد ،  
ولا في أبي نواس وأبي العتاهية ومسلم والعباس بن الأحنف ، لاختلاف الناس  
في الشعر وتباين مذاهبيهم فيه . <sup>(٣)</sup>

(١) طبقات فحول الشعراء ، ص ١٢٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٦١ .

(٣) الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٢٣ .

(٤) الموازنة ، ج ١ ، ص ٧ .

أما أمر الموازنة بين الشعراء في كل ما يتصل بشعرهم من جودة  
 وإسالة، وتبيين مذاهبهم في القول، فذلك أمر لم يسبق إليه، وحق للدكتور  
 مندور أن يصف كتاب "الموازنة" بأنه نعمة جديدة في تاريخ النقد العربي<sup>(١)</sup>  
 وأرى أن لفكرة الموازنة بين الطائيين - عند الآمدي - صلبة  
 وطيدة بعمله في مجلس القضاء، وموازنته بين أقوال الخصم من المتحاكمين،  
 فقد كان يحضر به في مجلس حكم قاضي البصرة أبي جعفر بن عبد الواحد  
 الهاشمي<sup>(٢)</sup>، ولا شك أن أبا جعفر كما تقدم رأى من فراسة الآمدي وألمعيته ونفاذه  
 في الأحكام ما جعله يستأنس برأيه في الموازنة بين أقوال الخصم وترجيح  
 بعضها على بعض. وأيا كان الأمر، فإن منهج الآمدي في كتاب "الموازنة"  
 لم يقتصر على تحديد خصائص الطائيين وتقييم شعرهما، بل تجاوزه إلى  
 ذلك الغنى الأدبي، والحشد الثقافي الزاخر الذي يعتبر صورة صادقة لما  
 وصل إليه النقد العربي في القرن الرابع الهجري .

(٢) خطة الآمدي في الموازنة التفصيلية: كان الآمدي قد صرح  
 في مقدمة كتاب "الموازنة" أنه سيقارن بين قصيدة وقصيدة من شعرا أبي  
 تمام والبحري إذا اتفقتا في الوزن والقافية وأعراب القافية، وبين معنى ومعنى،

(١) النقد المنهجي عند العرب ص ٩٤.

(٢) معجم الأدباء ج ٨، ص ٨٦، انباء الرواة ج ١، ص ٢٨٥.

ثم يقول أيهما أشعر في تلك القصيدة وفي ذلك المعنى تاركا الحكم العام لمن شاء أن يحكم بعد أن يكون قد أحاط علما بالجيد والردى<sup>(١)</sup>، ولكنه وجد أن الصياغة ليست أكثر من ثوب خارجي، فعدل عنها إلى المقارنة بسين الشاعرين في المعاني التي هي الجوهر والفرص.

والآمدي يقر بتأثير العامل النفسي في الحكم، ولكنه سيعمل جاهدا على ضبطه والحد منه يقول: "٠٠٠ وبالله أستعين على مجاهدة النفس، ومخالفة الهوى وترك التحامل، فان جل اسمه حسبي ونعم الوكيل"<sup>(٢)</sup>، وهو بذلك يتفق مع ما يكاد يكون من البديهيات في علم النقد الحديث. يقول الاستاذ الفرنسي لانسون (١٩٢٤م) في صدد كلامه عن المنهج العلمي في النقد الأدبي: "إذا كانت أولى قواعد المنهج العلمي هي إخضاع نفوسنا لموضوع دراستنا لكي ننظم وسائل المعرفة وفقا لطبيعة الشيء الذي نريد معرفته، فالتناكون أكثر تمثيا مع الروح العلمية باقرارنا بوجود التأثيرية في دراساتنا، وتنظيم الدور الذي تلعبه فيها. وذلك لأنه لما كان انكار الحقيقة لا يحوها فان هذا العنصر الشخصي الذي نحاول تثقيته سيتسلل في خبث إلى أعمالنا، ويعمل غير خاضع لقاعدة. وما دامت التأثيرية هي المنهج

(١) أنظر: الموازنة، ج ١، ص ٧٠.

(٢) نفس المصدر، ص ٤٠٥.

الوحيد الذي يمكننا من الاحساس بقوة المؤلفات وجمالها، فلنستخدمه في ذلك صراحة، ولكن لنقصره على ذلك في عزم، ولنعرف مع احتفاظنا به كيف نميزه ونقدّره ونراجعه ونحدده، وهي هذى الشروط الأربعة لاستخدامه. ومرجع الكل هو عدم الخلط بين المعرفة والاحساس، واصطناع العذر حتى يصبح الاحساس وسيلة مشروعة للمعرفة<sup>(١)</sup>. من ذلك نرى أن الآمدي قد سبق الى تفهم الأسس التي تتفق الآن وقواعد الروح العلمية في النقد الحديث بشكل يستحق التقدير.

ويريد الآمدي ان يوازن بين معنى ومعنى، ويفضل أحد الشاعرين على الآخر في ذلك المعنى بعينه، وسيعرّز ذلك بالعلل والاسباب ليعطيه صفة التسويغ، ولا يبقى الا ما لا يمكن اخراجه الى البيان، ولا اظهاره الى الاحتجاج، ولكن من حق أهل العلم - وهم أحذق من غيرهم في صناعتهم - أن يسلم لهم بالأحكام. وليس في هذه الروح النقدية ما ينم عن تحيّز أو تحامل، بل ان لاقتصاده في الحكم وتحجّجه من التفضيل - وخاصة فيما تدركه المعرفة ولا تحيط به الصفة - أصدق مثال على حيّته للعدل وتحريه للافصاف. فهل كان تطبيقه العملي في الموازنة التفصيلية مصداقا لقوله في بيان خطته؟ هذا ما سنحاول الكشف عنه ومناقشته وتعليقه في تتبعه للمعاني المختلفة والحكم عليها.

(١) كما ورد في - النقد المنهجي عند العرب، ص ٤٠٦.

## (٣) أبواب الموازنة التفصيلية بين الشعارين،

يلاحظ أن الآمدي يقارن بين الشعارين في الموضوعات المختلفة حسب مواقعها من ترتيب القصيدة العربية<sup>(١)</sup> فهو يبدأ بذكر الموضوعات التي جاءت في مطالع القصائد، فالموضوعات التي وقعت في وسط كلامهما، وبعد ذلك ما جاء في شعرهما من الخروج إلى الغرض المطلوب أو ما يسمى بحسن التخلّص ثم المعاني التي قيلت من أجلها القصائد.

ما جاء من الموضوعات في ابتدئات قصائد هما:

١- الوقوف على الديار، يقارن الآمدي مذهب أبي تمام بمذهب البحتري في الوقوف على الديار، ويقارن ذلك بطريقة العرب ويشرح مقاصد الأوائل في الوقوف عليها مردفاً ذلك بالعلل والأسباب، ثم يحقّق على ذلك بقوله: "وهذه طريقة القوم في الوقوف على الديار، ولهم فيها من الأشعار ما هو أشهر وأكثر من أن أحتاج إلى ذكره"، وتلك سبيل سائر المحدثين، وطريقة الطائيين، ما عدل عنها، ولا خرجا إلى غيرها<sup>(٢)</sup> وهو في هذا الباب يجعلهما متكافئين<sup>(٣)</sup>.

(١) أنظر ترتيب القصيدة العربية عند ابن رشيق، العمدة، ج ١، ص ٢١٣.

(٢) الموازنة، ج ١، ص ٤١١.

(٣) نفس المصدر، ص ٤١٦.



٢- التسليم على الديار: أورد أبياتا قليلة للطائيين ثم قال: "فهذا

ما وجدته من تسليمهما على الديار، وأبو تمام عندي في قوله:

«من ألم بها فقال سلام كم حل عقدة صبره الالمام

أشعر من البحتري في سائر أبياته» وما سمعت من التسليم على الديار

أحسن من قول أبي نواس:

وإذا مرت على الديار مسلما فلغير دار أميمة الهجران<sup>(١)</sup>

فالآمدي ينص على الجيد ويستحسنه وعلى الردي فيستزله،

ولا يقف عند ذلك، بل يقارن الجيد من شعرهما بالجيد من أشعار السابقين

ويفرق بين طرقهم المختلفة في التعبير.

٣- تعفية الدهور والأزمان للديار: أورد بيتين لأبي تمام ثم أورد

بيت البحتري:

أرسم داراً م سطور كتاب درست بشاشتها على الأحقاب

وفيه يقول الآمدي: "وهو من الابتداءات النادرة العجيبة المشبهة لكلام

الأوائل فهو فيه أشعر من أبي تمام"<sup>(٢)</sup> وهنا يلاحظ تمسك الآمدي بمصنوع

الشعر ومقاييسه.

(١) الموازنة، ج ١، ص ٤٢٠.

(٢) نفس المصدر، ص ٤٢١.

٤- اقواء الديار وتعقيها ، والآمدي يحجم في هذا الباب عن المفاضلة وان كان أميل الى ترجيح أبيات البحري التي يقول فيها " هذه كلها ابتداءات جيدة ، بارعة اللفظ ، صحيحة المعنى ، وأبيات أبي تمام أيضا رائعة ولكن فيها ما ذكرته <sup>(١)</sup> يعني بذلك أغاليطه .

من ذلك يظهر تحرج الآمدي في المفاضلة بين الاعتبارات المتقاربة واقتصاده في الحكم .

٥- تعفية الرياح للديار مما جاء في شعرهما من الابتداءات ، قال أبو تمام :

عفت أربع الحلات للأربع الملد لكل هضم الكشح متغيرة القد

يقول الآمدي : " ولا أعرف لأبي تمام ابتداء ذكر فيه الرياح غير هذا البيت وهو رديء اللفظ ، قبيح النسخ <sup>(٢)</sup> " .

وفي بيت البحري :

أصبا الأصائل أن برقة منشد تشكو اختلافك بالهبوب السرمد

يقول : " ما زلت أسمع الشيخ من أهل العلم بالشعر يقولون : انهم ما سمعوا لمستقدم ولا متأخر في هذا المعنى أحسن من هذا البيت ، ولا أبرع لفظا ،

(١) الموازنة ، ج ١ ، ص ٤٢٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٢٤ .

ولا أكثر ما، ولا رونقاء ولا أطف معنى<sup>(١)</sup>.

ولا يخفى تفوق البحري، ونزاهة الآدي في الحكم.

٦- البكا على الديار، ويجعل البحري في هذا الباب أشعر من صاحبه، لتصرفه في البكا على ممان مختلفة عجيبة كلها جيد نادر - كما يقول - ونزوم أبي تمام طريقة واحدة لم يتجاوزها<sup>(٢)</sup>، ويكون الآدي قد اتخذ من التصرف بالمعاني مقياسا لتحديد المفاضلة.

٧- سؤال الديار واستعجابها عن الجواب، وهو ينعتها في ذلك بالتقصير عن القدما<sup>(٣)</sup> ويجعلها متكافئين.

ما جا من الموضوعات في وسط كلامها

١- أوصاف الديار والبكا عليها، وهو يستحسن أبياتهما جميعا دون أن يصرح بالفضل<sup>(٤)</sup>.

٢- أطلال الديار وآثارها، وفيه أورد بيت أبي تمام.

ونؤي كما نقص الهلال محاقه أو مثل ما فطم السوار المعصم

وفيه يقول، "وهذا المعجز ما لحسنه نهاية"<sup>(٥)</sup>. ولست أعرف للبحري نسي

- 
- (١) الموازنة، ج ١، ص ٤٢٥.  
 (٢) نفس المصدر، ص ٤٢٨.  
 (٣) نفس المصدر، ص ٤٣٣.  
 (٤) نفس المصدر، ص ٤٦٣.  
 (٥) نفس المصدر، ص ٤٥٩.

(١)

مثل هذا الا ما يشتهه فيه .

٣- محو الرياح للديار ، وفيه يأتي بأبيات للطائيين في ذلك ثم يقول :

"ولا أعرف لأبي تمام معنى جيداً في ذكر الرياح الا قوله :

يا منزلاً أعطى الحوادث حكمها لا مظل في عذة ولا تسويفاً

أرسي بنا ديك الندى وتنقست نفساً بعقوتك الرياح ضعيفاً<sup>(٢)</sup>

وما زلت أسمع أهل العلم بالشعر يستحسنون بيت أبي تمام هذا ، وهو

لعمرى حسن .<sup>(٣)</sup> وألمح الآمدي الى طريقتي الطائيين في ذلك ، وأنهما انما

يذكران ريحون مختلفتين تنسف الواحدة عن الأرض التراب ، والأخرى ترده

اليها ، ويعقب على ذلك قائلاً : "فلعل" الطائيين فيما شرطاه انما أشفقا من

أحد فعلي الرياح ، وهو طموسها للرسم<sup>(٤)</sup> . وأورد قول البحري :

أصبا الأصائل ان برقة منشسد تشكو اختلافك بالهبوب السرمد

لا تتمبي عرصاتها ان الهوى ملقى على تلك الرسوم الهممد

د من موائل كالنجوم فان عفت فبأى نجم في الصباة تهتدي

(١) الموازنة ، ج ١ ، ص ٤٦٠ .

(٢) عقوة الدار : ما احتها ، وأرس : أقام ، والمعنى نقلاً عن كتاب الموازنة ، ج ١ ، ص ١٠٥ ، هو يدعو للمنزل بالخصب وتنسيم الرياح ، لأن النسيم

(٣) الموازنة ، ج ١ ، ص ٤٦٧ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٤٦٩ .

يقول الآمدي: "وقد قرأت شعرا كثيرا، في وصف الرياح وتعقيبها للدار لشعرا"<sup>(١)</sup>  
الجاهلية والاسلام، فما سمعت بأحسن من هذا، ولا أعرف ولا أبداع".

ويتبين من ذلك منهج الآمدي في النقد والمفاضلة، واعترافه بالجيد واستحسانه له، وذمه للردى، واسقاطه له، فهو قد فضل أبا تمام في قوله: "أو مثل ما فعم السوار المعصم"، وفضله في إضافة صفة التنفس الضعيف للرياح في ديار الحبيب، واستحسن قول البحترى حيث يستحق ذلك، معلقا ومقارنا بمذاهب العرب في القول، وأشعارهم الجياد في هذه المعاني بحيث تتضح صورة الحكم بأدق جزئياتها وتفصيلاتها.

٤- سؤال الديار واستعجابها عن الجواب: قال أبو تمام:

من سجايا الطلوس ألا تجيبا فصواب من دالة أن تصوبا  
فاسألنها واجمل بكاك جوابا تجد الشوق سائلا ومجيبا

يقول الآمدي شارحا ومعلقا: "أى أنك انما وقفت على الدار وسألتها لشدة شوقك الى من كان بها، ثم بكيت شوقا أيضا اليهم، فكان الشوق سببا للسؤال، وسببا للبكاء". وهذه فلسفة حسنة ومذهب من مذاهب أبي تمام، ليس على مذاهب الشعراء ولا على طريقته<sup>(٢)</sup>.

(١) الموازنة، ج ١، ص ٤٧٠.

(٢) نفس المصدر، ص ٤٧١.

فالآمدي يقارن مذهب أبي تمام بمذاهب العرب في القول، وهو  
يأتي بشعر البحترى كمثل على مذاهب العرب يقول، "ولم يسلك البحترى  
هذه الطريق بل جرى في هذا الباب على مذاهب الناس فقال،  
وقفنا على ذات النخيلة وانجرت سواكب قد كانت بها العين تبخل  
على دارس الآيات عاف تعاقبت عليه صبا ما تستفيق وشمال  
فلم يدر رسم الدار كيف يجينا ولا نحن من فرط البكا كيف نسأل  
وقول أبي تمام وان كان فيه دقة وصنعة، فهذا عندي أولى بالجودة، وأحلى  
في النفس، وألوط بالقلب، وأشبه بمذاهب الشعراء<sup>(١)</sup>، وواضح أن الآمدي  
ينظر إلى شعر أبي تمام من خلال نظرتة إلى عود الشعر وإلى الأنماط  
الشعرية المعروفة.

ويورد الآمدي بعد ذلك من الباب نفسه قول أبي تمام،  
وقد مررنا بالدار وهي خلا فبكينا طولها والرسوما  
وسألنا ربوعها فما نصرفنا بشفا وما سألنا حكيمها  
وينمته بقوله، وهذا معنى حسن حلو، ومذهب صحيح تقدم الناس فيه،  
وقال البحترى في مثله أو قريب منه،

---

(١) الموازنة، ج ١، ص ٤٧٢.

يا دار لا زالت رباك مجسودة من كل غادية تملّ وتنهلّ

فهمتنا دول الزمان وصرفه وأريتنا كيف الخطوب النزل

ومعنى أبي تمام جاء به في حكمة واحدة، وأتى بزيادة في غاية الحلاوة والصحة وهي قوله "وما سألنا حكيمًا" فأبو تمام في هذا عندي أشعر من البحتري<sup>(١)</sup>.

ما تقدّم نرى أن الآمدي يرى جمال الشعر من خلال الأنساق القديمة فهو يستحسن قول أبي تمام وينعته بقوله "مذهب صحيح"، ونحن نرى أن الآمدي كان يحسن تذوق شعر أبي تمام مما يقع ضمن عمود الشعر والأنساق المألوفة، وما خرج عن ذلك من شعر أبي تمام فبينه وبين ذوق الآمدي حجاب.

هـ - وصف الديار وساكنيهما يأتي بأبيات الطائيين في ذلك، ثم يأخذ بمناقشة مذهبيهما في الشعر يقول، "وأقول في الموازنة بينهما أن أهل الصنعة يفضلون كل ما قاله أبو تمام على أكثر ما قاله البحتري في هذا الباب ويقولون، أن أبا تمام استقصى الوصف في نعمات النساء وأحسن وأجاده وقد كان ذاك لعمرى، مع ما فيه من الاسماء والألفاظ الرديئة... والمطبوّهون وأهل البلاغة لا يكون الفضل عندهم من جهة استقصاء المعاني والافراق نفسي

(١) الموازنة، ج ١، ص ٤٧٢.

الوصف ، وإنما يكون الفضل عندهم في اللام بالمعاني وأخذ العفو منها كما كانت الأوائل تفعل مع جودة السبك وقرب المأتى<sup>(١)</sup> .

ومن ذلك نرى أن الآمدي يشيح بوجهه عن محاولات أبي تمام في الخروج على النماذج الشعرية المألوفة، وهو مع امراضه عن محاولات أبي تمام التجديدية لم يحرم الانصاف أحياناً، ونحن نرى أن لو سمح الآمدي لنفسه أن يتذوق شعر أبي تمام دونما نظرة مسبقة دفعته الى الغض منه لربما استطاع أن يحسن تقدير شعر أبي تمام بل لربما أعاد خطته في الموازنة على مقاييس جديدة .

٦- ما يخلف الظاعنين في الديار من الوحش وغيرها<sup>(٢)</sup> وفي هذا الباب يفض من شعرهما معاً، ويحجم عن المفاضلة بينهما .

٧- ما قيل في ائتلاف المحبين وفي هذا الباب يحكم بتفوق البحثري على أبي تمام، لأنه ليس لأبي تمام فيه شيء كما يقول<sup>(٣)</sup> .

وبذلك نجد الآمدي يحكم بتفوق البحثري لتفرد، بالقول في عسفا

الباب .

(١) الموازنة، ج ١، ص ٤٩٦ .

(٢) نفس المصدر، ص ٥٠٥ .

(٣) الموازنة، ج ٢، ص ١٤١ .



٨ - باب طرق الخيال : هذا باب فضل الآمدي البحتري فيه على أبي تمام<sup>(١)</sup> وقد ذهب بعض أنصار أبي تمام - كالشريف المرتضى - إلى هذا الرأي، ونوّه بأصالة البحتري في هذا الباب قال : "ولأبي تمام في هذا المعنى التافه اليسير، فانه ما عني به، ولا رزق منه ما رزق البحتري، فانه كان مغرماً متبهما بالقول في الطيف، فأكثر فيه وأغزر مع تجويد واحسان وافتنان، وتصرف فيه تصرف المالكين، وتمكن منه تمكن القادرين"<sup>(٢)</sup>.

#### الخروج إلى المدح

يقدم الآمدي لهذا الباب بشرح لمذهبي الشاعرين في الخروج من النسب إلى المدح، ثم يورد الأوجه التي اعتمدها الشاعران كأسباب لوصل النسب بالمدح وهي :

١ - الخروج بذكر أوصاف الابل والمهامه، وذلك كقول أبي تمام :

يصبرني ان ضقت ذرعاً بحبسه      ويجزع ان ضاقت عليه خلاخله

ثم خروجه إلى مدح المعتصم بقوله :

إليك أمير المؤمنين وقد أتسى      عليها الملا أدمائه وجراوله<sup>(٣)</sup>

(١) الموازنة، ج ٢، ص ١٦٧.

(٢) طيف الخيال، ص ٤، ص ٥.

(٣) الموازنة ج ٢، ص ٢٩٥-٢٩٦، ومعاني المفردات نقلاً عن كتاب الموازنة هي : الملا، المتسع من الأرض، الأدماء، جمع دمث وهي الأرض اللينة، والجراول، جمع جرول وهي الأرض الخشنة ذات الحجارة.

ومن ذلك قول البحري :

فالميس ترمي بأيديها على عجل في مهده مثل ظهر الترس وجراح  
تهدي إلى الفتح والنعمى بذاك له مدحا يقصر عنه كل مداح<sup>(١)</sup>

٢- الخروج بوصف الخيل : من ذلك قول أبي تمام :

خذوناها الوجى والأيسن حتى تجاوزت الركوع إلى السجود  
أهانك للطراد ولم تهونني عليه ، وللقياذ - أبو سعيد<sup>(٢)</sup>

٣- الخروج بوصف السفينة : من ذلك قول البحري :

ورمت بنا سمع العراق أيا نبق سمم الخدود لغامهن الطحلب  
ركبوا الفرات إلى الفرات وأملوا نشوان يبدع في السطاح ويفرب<sup>(٣)</sup>  
ولم يذكر الآمدي أبيات أبي تمام في "السفينة" لرداءتها<sup>(٤)</sup>.

وفي طرق الخروج السابقة يقول الآمدي : "ولا خفا" بفضل البحري  
في سائر ما أورده على أبي تمام<sup>(٥)</sup> . ونحن نوافق رأي الآمدي في ذلك لتفوق

- 
- (١) الموازنة، ج ٢، ص ٢٩٩ .  
(٢) نفس المصدر، ص ٣٠٦-٣٠٧، خذوناها : جعلنا الوجى لها مثل الأحذية،  
وأبو سعيد : محمد بن يوسف الطائي (نقلا عن الموازنة) .  
(٣) الموازنة، ج ٢، ص ٣٠٧، ومماني المفردات نقلا عن الموازنة هي : أيا نبق،  
جمع أيا نبق، وهو جمع ناقة، سمم الخدود : يريد سواد القار، لغامهن الطحلب،  
يريد الخضرة التي تتعلق بالسفن من طول المكث في الماء .  
(٤) الموازنة، ج ٢، ص ٣٠٩ .  
(٥) نفس المصدر، ص ٣١٠ .

## البحثري الظاهر .

٤ - الخروج الى المدح بمخاطبة النساء : كقول أبي تمام :

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالمسيل حرب للمكان العالي  
وتنظري خيب الركاب يحثها محبي القريض الى مميت المال  
وقول البحثري :

ولم أنسها عند الوداع ونثرها سوايق دمع أعجلت أن تنظما  
وقالت هل الفتح بن خاقان معقب رضا فيعود الشمل منا ملاما<sup>(١)</sup>  
واخاله يجعلهما في هذا الباب متكافئين .<sup>(٢)</sup>

٥ - الخروج الى المدح بيمين يحلفان بها : من ذلك قول أبي تمام :

حلفت برّب البيض تدى نحورها ورب القنا الضاد والمتقصد  
لقد كف سيف الصامتي محمد تباريح ثار الصامتي محمد<sup>(٣)</sup>  
وقول البحثري :

حلفت بما حجت قريش وحجّبت وحاز المصلّى والحطيم وزمزم

(١) الموازنة، ج ٢، ص ٣١١ .

(٢) نفس المصدر، ص ٣١٢ .

(٣) نفس المصدر، ص ٣١٣، المنادى المنحني، المتقصد، المتكسر .

لقد جثم الفتح بن خاقان خطة من المجد لا يسطيعها المتجشم<sup>(١)</sup>  
ويجعلهما في هذا الباب متكافئين<sup>(٢)</sup> . ولا خفاء بعدل الآمدي في الحكم :

٦- الخروج الى المديح بذكر الغيث ، كقول أبي تمام :

أيها الغيث حي أهلا بمفدا كـ وعند السرى وحين يثوب

لأبي جعفر خلائق تحكيه من قد يشبه النجيب النجيب

وقول البحتري :

أقول لشجاع الغمام وقد سرى بمحتفل الشؤبوب صاب فعمما

أقل وأكثر لست تبلغ غاية تبين بها حتى تضارع هيثما<sup>(٣)</sup>

وهو في هذا الباب يفضل البحتري على صاحبه<sup>(٤)</sup> ، وهو حكم - في رأينا -  
مصيب .

٧- الخروج الى المديح بوصف "الرياح"<sup>(٥)</sup> وتشبيه أخلاق الممدوح

بها ، كقول أبي تمام :

(١) الموازنة، ج ٢، ص ٣١٣ - ٣١٤ .

(٢) نفس المصدر، ص ٣١٤ .

(٣) نفس المصدر، ص ٣١٥ = (والهيم هو الهيم الغنوى) .

(٤) نفس المصدر، ص ٣١٨ .

(٥) نفس المصدر، ص ٣١٩، ونعتقد أن الأصح هو "الرياح" بدلا من لفظة "الرياح" .

خلق أطل من الربيع كأنه خلق الامام وهديه المتيسر

وقول البحتري:

صاغ منها الربيع شكلا لأخلا قحعين ذى الجود والاحسان<sup>(١)</sup>

والآمدي يمقت الذهبين ولكنه يفضل البحتري لكثرة أخطائه أبي  
تمام في هذا الباب<sup>(٢)</sup>.

### المصدر

١- أمر الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيها،

يناقش الآمدي - في هذا الباب - مذهبي الشاعرين في مدح

الخلفاء، ويستحسن قول أبي تمام في الواثق:

جعل الخلافة فيه ربّ قوله سبحانه - للشّيء كن فيكون

وقد رأيناها له بقلوبنا وظهور خطب دونه ويطون

ولذا ك قيل من الظنون جليّة صدق وفي بعض القلوب عيون

قال الآمدي: " فهذه كهانة عجيبة من أبي تمام في الواثق لم يفتن لها غيره"<sup>(٣)</sup>.

(١) الموازنة، ج ٢، ص ٣١٩، (والهدي، السميت والشكل).

(٢) نفس المصدر، ص ٣٢٨.

(٣) نفس المصدر، ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

وأورد أبياتا كثيرة تصّرف فيها البحري في مدح الخلفاء أحسن  
تصرّفه وأرى فيها على كثير من معاني أبي تمام في هذا الباب ، الا أن  
الآمدي استجاد قول أبي تمام في المأمون ،

في دولة لحظ الزمان شعاعها فارتدّ منقلباً بعيسي رأسي  
من كان مولده تقدّم قبلها أو بعدها فكانه لم يولد

وهذا — كما يقول الآمدي — أجود ما يقال في مدح دولة وأبلغه،  
فأبو تمام عنده في هذا الباب أشعر من البحري<sup>(١)</sup> .

ولا بدّ لنا أن نقف هنا قليلاً لنناقش ونتبين مبدأ الآمدي في  
التفضيل، انه يفضّل بيتين لأبي تمام على كل ما قاله البحري، رغم أن أشعار  
البحري في هذا الباب هي من غرر أبياته . معنى ذلك أن الآمدي ينظر  
الى الجودة في الشعر من خلال الروائع — وان قلّت، ولكن عيب الآمدي  
أنه لا يستطيع رؤية الروائع في شعر أبي تمام الا من خلال مقاييس عمود  
الشعر، فما وافق عمود الشعر أبصر الآمدي روعته وما لم يوافق خرج عنده  
الى الاحالة والتعقيد والاستكراه ، ولو أن الآمدي أعاد النظر في أغلال  
عمود الشعر على ضوء من روائع أبي تمام، لكان للموازنة عنده شأن آخر،  
غير المفاضلة بين الشاعرين .

(١) الموازنة، ج ٢، ص ٣٤١ — ٣٤٢ .

ابتدأ<sup>١</sup>ات المراثي ، وهو في هذا الباب يوازن بين الطائيين في اتفاق شعريهما في المعاني المختلفة ، ثم في جملة الأبيات . فبعد أن أورد أبيات الشاعرين في هذا الباب قال : " فان ابتداء<sup>٢</sup>ات البحري أجود من ابتداء<sup>٣</sup>ات أبي تمام لما في ابتداء<sup>٤</sup>ات أبي تمام من التخليط . . . وسلامة ابتداء<sup>٥</sup>ات البحري من مثل ذلك . فأما الموازنة بين معاني الأبيات فليس في معانيهما اتفاق الا في صدر البيتين الأولين . . . فأجعلهما في هذه المعاني خاصة متكافئين ، وجعلت أبيات البحري أفضل الجملتين<sup>(١)</sup> .

ويتضح من ذلك أن الآمدي يوازن بين الشاعرين في دقائق المعاني ولكنه وجد أن هذه المعاني تلتقي في مواضع وتفرق في أخرى ، فحتى تصح الموازنة يحكم على المعاني التي تتفق ، ثم يحكم على جملة الأبيات لكل من الشاعرين ، وقد وجد صعوبة في الموازنة بينهما في قصائد المرتأ وفي قصائد المدح لأن القصيدة الواحدة تتضمن من المعاني ما ليس في القصيدة الأخرى . فنراه يقول : " لو اعتمدنا أن نعرف أيهما أشعر في جملة مراثيه حتى نثبت قصائدهما بأسرها في هذا الباب لم يخلص لأبي تمام الا قصيدتان وهما :

كذا فيحل الخطب وليفسد الأمر

( ١ ) الموازنة ، الجزء المخطوط ، ص ١١٦ .

وقوله :

ما زالت الأيام تخبر سائلا

ومقطوعتان تقومان مقام قصيدة وهما :

أصم بك الناعي وإن كان أسمعا

وقوله :

أي القلوب عليكم ليس ينصدع

فانه برز في هذه القصائد وأحسن وأجاد لفظا ومعنى وسبكا حتى كأنها من بحر غير بحره ، ومن معدن سوى معدنه ، وكان يظهر تقصيره في باب قصائده وهي أربع عشرة قصيدة لأن الجيد فيها انما هو لمع قليلة بين الردى الساقط ، ورديته اما في معناه أو لفظه أو نسجه أو تأليفه . . . فكان كثرة رديته يشين قليل جيده ويزري به ، وكان يظهر فضل البحري في قصائده وهي ثلاث عشرة قصيدة لأن كلها جيد لا يكاد يختل من القصيدة شيء البتة . . . فكنا لو فعلنا ذلك نحكم بفضل جملة قصائد البحري على جملة قصائد أبي تمام ، ولو أطرحننا ردي أبي تمام كله من جميع قصائده ، وتلقطنا جيده منها ، وأضفناه الى القصائد الأربع اللواتي قدمت ذكرها ، ووازننا بالجميع قصائد البحري حتى نكون قد وازنا جيدا بجيد كما يختار أصحاب أبي تمام ، لأنهم أبدا يقولون : فدعوا رديته وخذوا جيده ، كان في



ذلك ظلم للبحري قبيح ، وتعدّ ظاهر معلوم لأن المثنّى المنتقى الذي قد نفي ردّيه وبقيت عيونه وفاخره لا يقاس جملة على جهته لأن النقاوة لها أبدأ فضلها ، ولكن الموازنة تكون بين جملة وجملة واختيار واختيار<sup>(١)</sup> .

ما تقدّم نرى أن الآمدي يحرص على أن يعدل بين الشاعرين في التفاصيل والجزئيات ، ويرى أن الحكم لا يكون عادلا إذا كان بين الشاعرين على نفس المقاييس ، وقد لاحظ أن أصحاب أبي تمام يفضلونه على أساس الجيد المنتقى من شعره ، وأن البحري لا يكاد يكون في شعره مختارا لقلّة التفاوت فيه فلا سبيل للموازنة بينهما إلا بالحكم على جملة شعرهما في موضوع معين . وهنا تبرز العقبات أمام الآمدي في موازنته بين الشاعرين على أساس من اتفاق المعاني واختلافها ، فهو لا يجد مندوحة عن اللجوء إلى الموازنة بين الشاعرين على أساس النظرة الكلية في جملة أشعارهما في موضوع معين ، ونحن نرى أنه كان على الآمدي أن ينظر في جملة أشعار الطائيين في الموضوعات جميعها ليسلم في موازنته من التناقض ، ويخلص من صعوبة التوفيق بين الأشعار المختلفة .

والآمدي يفضل شعر البحري لاستوائه على شعرا أبي تمام ، ويأخذ برأي شيوخه من أهل العلم والشعر في تحديد الشعر المطبوع وتمييزه

(١) الموازنة، الجزء المخطوط ، ص ١٧ أ ، ١٧ ب .

عن غيره مما حرم هذه الصفة يقول: "والمطبوع الذي هو مستوي الشعر، قليل السقط، لا يبين جيده من سائر شعره بينونة شديدة، ومن أجل ذلك صار جيد أبي تمام معلوما وعدده محصوراً<sup>(١)</sup> . ويعلل الآمدي هذا التعريف بقوله: "وهذا عندي — هو الصحيح لأنني نظرت في شعر أبي تمام والبحري في سنة سبع عشرة وثلثمائة واخترت جيدهما، وتلقت محاسنهما، ثم تصفحت شعرهما بعد ذلك على مرّ الأوقات، فما من مرة إلا وأنا ألحس في اختيار شعر البحري ما لم أكن اخترته من قبل، وما علمت أنني زدت في اختيار شعر أبي تمام ثلاثين بيتاً على ما كتبت اخترته قديماً<sup>(٢)</sup> . بل يذهب الآمدي إلى أكثر من ذلك حين يفضل شعر مسلم بن الوليد لاستوائه على شعر أبي تمام<sup>(٣)</sup> .

وهنا نجد مقياس الآمدي في الموازنة يضيق عن قبول مبدأ أبي تمام واتجاهه في قول الشعر. فأبو تمام كان يقول من الشعر ما يشتهي<sup>(٤)</sup> . وكان يسأل عن البيت الجيد والبيت الردي فيقول انهما بعض نفسه، وفي مرتبة الأبناء يتساوون في المحبة، فلم يكن لاستواء الشعر عنده من عيب أو

(١) الموازنة، ج ١، ص ٥٢ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) نفس المصدر، ص ٦ .

(٤) شرح الحماسة، المقدمة، ص ١٣ .

نقص، وقد نفى الأستاذ ريتشاردز I.A. Richards أن يكون استواء الشعر دليلاً على الجودة، ومثل على ذلك هروايات شكسبير التي تتفاوت تفاوتاً كبيراً دون أن ينقص ذلك منها . وهو يرى أن رواية شكسبير "الملك لير" King Lear تستوى على مرتبة عالية من الجودة والاستحسان رغم أنها صعبة الفهم، ومغايرة في مستواها لروايات شكسبير الأخرى . ويذهب الشاعر ت.س. اليوت إلى (١) أنه في أنجح القصائد المطولة قد ترتبط أبيات جزلة بأبيات أقل جزالة دون أن ينقص ذلك منها بل يمكن اعتبار ذلك ضرباً من الجمال . (٢)

وقد كان الباحثي نفسه يقرّ بسابقة أبي تمام وتقدمه ، ويعترف أن جيد شعراً أبي تمام خسر من جيده . (٣) وإذا كان الأمر كذلك فقد استوى أبو تمام على مرتبة السبق والتفوق إذ لا مفاضلة في الرديء وان كان رديء شعراً الباحثي خيراً من رديء أبي تمام .

ثم انه غير منكر - كما يقول أصحاب أبي تمام - لفكر نتج من المحاسن ما نتج وولد من البدائع مثل ما ولد أن يلحقه الكلال في الأوقات والزلل في الأحيان . (٤) وكان أولى بالآمدي لو فاضل بين الشاعرين على أساس

(١) Richards, I.A. "Principles of Literary Criticism", (١) p. 212.

(٢) Eliot, T.S. "The Use of Poetry...", p. 92, (٢)

(٣) الموازنة، ج ١، ص ١٢ .

(٤) نفس المصدر، ص ٣٥ .

هذه اللع الشعرية المتفرقة في شعراًبي تمام والتي تلحقه بمصاف العباقرة والمبدعين وأهل الرؤى الكاشفة التي تدق على غيره ممن هم في المتوسط أو دونه .

ذكر الخيل والسلام وقبحهما بعد الميت، وباب من يخلف الميت : لم يرد فيهما شيء يستحق الذكر سوى ذكر شعر مسلم بن الوليد وليلى الأخيلية<sup>(١)</sup> مذهب الشاعرين في الهجاء : ويعرض الآمدي لمذهب الشاعرين في موضوع الهجاء فيرى أن البحري إذا هجا قصراً وأن أبا تمام في هجائه أشد تقصيراً<sup>(٢)</sup> .

وصف الخمر والندمان : يرى الآمدي أن الطائيين يقصران في هذا الباب الذي حاز قصب السبق فيه أبو نواس قال : "وما قال أول ولا آخر في وصف الخمر والندمان كقول أبي نواس، فانه أبر فيه على من قبله ، ولم يطمع في اللحاق به من بعده"<sup>(٣)</sup> . ويلاحظ هنا افتراق الآمدي عن أئمة اللغة الذين ينحازون إلى القديم ويفضلونه ، فالآمدي يقر لأبي نواس بالسبق رغم تأخره في الزمن بالنسبة لسابقه .

(١) الموازنة، الجزء المخطوط، ص ١٧ أ، ١٧ ب، ٢٧ ب .

(٢) نفس المصدر، ص ٣٧ أ .

(٣) نفس المصدر، ص ٥٢ أ، ٥٢ ب .

باب اعتداد المذاح بنعم المدوحين • وهو باب يجمع - كما يرى  
الآمدي - بين عين شعر أبي تمام في الجودة، وعين شعره في السخف •  
ففي قول أبي تمام •

أطال يدي على الأيام حتى جزيت صروفها صاعا بصاع  
يقول • " وهذا عين هذا الباب كله • (١) ويرى قوله •

قرب الدهر من يدي وأكثت يده من سدايم العدم حالي  
عين هذا الباب كله في الرداءة والسخف • (٢) -

باب وصف الخيل • وهو في هذا الباب يعتبر البحري أشعر من أبي تمام  
وغيره من شعراء أهل زمانه • وهو في ذلك يوافق شيوخه من أهل العلم  
بالشعر الذين يعتبرون البحري أشعر الناس وألهجهم بذكر الخيل  
والخيال • (٤)

متفرقات من شعري الطائيين • وقد لاحظ الآمدي أن هنالك معاني تفرّد  
فيها كل من الشاعرين وجب التنص عليها وتقييمها جملة، من ذلك وصف  
البرك عند البحري، وسينية البحري التي يقول فيها الآمدي • " وهي التي

- 
- (١) الموازنة، الجزء المخطوط، ص ٨٦ •  
(٢) نفس المصدر والصفحة •  
(٣) نفس المصدر، ص ١١٨ ب •  
(٤) الموازنة، ج ٢، ص ١٦٧ •

أجمع الناس على استحسانها والاعتراف بالفضل له فيها، وما زلت أسمع  
 أهل العلم بالشعر يقولون أنهم لا يعرفون سينية أجود منها<sup>(١)</sup>. ولاحظ  
 كذلك أن ليس لأبي تمام في حرب البحر شي<sup>(٢)</sup>. هذا بالإضافة إلى  
 مجموعات من الأشعار لم يثبتها الآمدي لردائها وقلة مستواها في أن ترتفع  
 إلى رتبة الموازنة<sup>(٣)</sup>. ومن حرص الآمدي على النزاهة واحتراسه في الحكم  
 والمفاضلة بين أبيات الشعراء في المعاني المختلفة تحفظه في بيت الحكم  
 في الأبيات التي تتساوى فيها الجودة، من ذلك قول أبي تمام:

ولت شياطينهم عن حدّ ملحمة كانت نجوم القنا فيها رجما

يقول الآمدي: "وما وراء هذا البيت غاية في حسنه وحلاوته وصحة معناه

ولست أدري أيهما أجود في معناه أهو أم قول البحرى:

قمر يكرّ على الكساء بكوكب<sup>(٤)</sup>

ومع أن بابي التشبيه والأمثال لا يزالان مفقودين، إلا أننا ننتج  
 مما سبق معالجة الآمدي للموضوعات المختلفة، والموازنة بين معاني الطائيين  
 فيها، وحرصه على أن لا يفوته معنى لأحدهما دون أن يقيمه ويدخله في  
 الحكم النقدي، وبذلك يكون قد استقصى كلّ ما للطائيين من شعر فسي

(١) الموازنة، الجزء المخطوط، ص ١١٦ أ.

(٢) نفس المصدر، ص ١١١ أ.

(٣) نفس المصدر، ص ٣٢ أ، ٤٢ أ.

(٤) نفس المصدر، ص ١٠٨ أ.

الموضوعات المختلفة، وكان حكمه على الجزئيات أولاً ، وعلى جملة الأبيات والقصائد ثانياً، شارحاً معلقاً أسباب التفاضل حيث يسهل الحكم، ومقتصداً متحرّجاً فيه حيث تتكافأ الأدلة، ومهيئاً الخصائص الشعرية التي تروق له ، والأخرى التي يرغب بذوقه الأدبي عنها، تاركاً الحكم العام — بين الشعراء للقارئ، ان أحب ذلك بعد أن يصره بمحاسن كل شاعر ومساوئه . ولا يهّم كثيراً أن يترك الآمدي الحكم العام للقارئ ومزاجه، فليس من حق الناقد أن يحكم ويملي ولكن عليه أن يوضح ويفهم . والناقد الجيد هو الذي يعترف بتواضع أنه لن يصل إلى حكم نهائي، ويجب عليه أن يعترف — كما يقول جيمس ريفز James Reeves — أن مواهب الشخصية لا تمكنه من الحكم النهائي على العمل الأدبي المعقد . والذي يؤمل أن يحققه الناقد هو أن يكشف بعض العناصر الجمالية في العمل الأدبي لم تكن معروفة، أو يضيف جديداً . وإذا لم نستطع الوصول إلى أحكام نهائية ومقاييس ثابتة في الحكم على الأعمال الأدبية، فلا يعني ذلك أننا يجب أن لا نحاول اكتشاف ذلك (١) .

وبذلك يكون الآمدي قد أدى هذه المهمة الشاقة في الموازنة بين الشعراء في كل ما لهما من شعر على طريقة لم يسبق إليها العرب من قبل، ووضعت طريقته في الموازنة حداً للمفاضلات الجزئية بين الشعراء، والتي شغلت رواة الأدب وعلماء الشعر وأهل اللغة حتى منتصف القرن الرابع الهجري .

(١) أنظر: Reeves, James "The Critical Sense", p. 13-14.

## (٤) قيمة الموازنة وشروطها

واضح من منهج الآمدي في موازنته أن البحتري يتفوق على أبي تمام في مجموع جزئيات الأحكام، ولكن غاب عن ذهن الآمدي أن الشعور المستمد من تراث الشاعر ككل غيره المستمد من التراث كمجموعة أجزاء. وقد ضرب الشاعر س. اليوت مثالا على ذلك قال: "إن الشعور بالمتعة في الغداء الذي يحسن ترتيبه لا يكون من عدد الصحون ولكن من امتزاج هذه الأشياء الجميلة، وكذلك التمتع بالشعر يجب أن يكون كذلك".<sup>(١)</sup> ففي شعر جورج هيربرت George Herbert يرى اليوت أن القارئ لديوان شعره "المعبد" The Temple يخرج بشعور يختلف عما لو قرأه مجموعة قصائد، إذ أن هنالك بعض الشيء الذي يختلف في الكل عن الجزء.<sup>(٢)</sup>

إن المقارنة والتحليل هما الأدوات الرئيسية في يد الناقد، وقد تكون هذه نافعة، ولكن الموازنة يجب أن تتناول آثار الشاعر الأدبية كلاً واحداً.<sup>(٣)</sup> والشاعر المهم — في نظر اليوت — هو الذي يجب أن يدرس

---

Eliot, T.S. "On Poetry and Poets", p. 44. (١)

Ibid., p. 46. (٢)

"Style In Language", edited by Sebeok, Thomas A. (٣)

وانظر: هايمن، ستانلي "النقد الأدبي ومدارسه الحديثة" ج ١، ص ١٣٣.

Eliot, T.S. "On Poetry and Poets", p. 44. (٤)



تراثه كله لتذوق أى جزء منه ، ويستشهد على ذلك بشعر شكسبير حيث يرى أنه يجب علينا أن نقرأ كل مؤلفاته قبل أن نستطيع تذوق كل قصيدة بمفردها .<sup>(١)</sup>

ونحن بدورنا نرى أن موازنة الآمدي بين الطائيفين في جزئيات الأحكام قد تحققت على الكثير من لمع أشعار أبي تمام ، وأججفت بحسب هذا الشاعر العظيم ، والنظر الكلي الصحيح هو أن يضع الآمدي كل شعر أبي تمام في كفة ، وشعر البحتري كله في كفة ، ثم ينظر أيهما أرجح جملة .

(٥) ما يؤخذ على الآمدي في موازنته

ان من أهم الشروط التي يجب توفرها في الناقد حتى يكون موضوعيا في نقده ، متجردا في أحكامه ، هو أن يشارك الشاعر آراءه حتى يستطيع تذوق شعره . يقول الدكتور ليفس Leavis في ذلك " ان أول ما يهم الناقد هو محاولة الدخول في القصيدة كأنها انتاجه ، ويجب أن يضع نصب عينيه ازدياد الشعور بأنها ملكه . واذا ما أراد أن يصل الى أحكام نقدية قيمة يجب أن يكون ذلك وليد شعوره بأن القطعة من

---

Eliot, T.S. "The Use of Poetry", p. 44. (١)

نفسه ، مع التجارب الكامل معها " (١)

ونحن نأخذ على الآمدي عدم تعاطفه مع أبي تمام، بل خروجه  
أحيانا عن هدوء الناقد الى محاكمة الشاعر نفسه . ففي بيت أبي تمام:

ان من عقق والدیه للمعسور ن ومن عقق منزلا بالعقيق

يقول الآمدي معقبا عليه : " وما المستحق والله للعن غيره ، اذ رضي لنفسه  
بمثل هذا السخف " (٢) . ومثل هذا الغضب يحول بين الآمدي وقدرته على  
تذوق شعر أبي تمام أحسن فيه أم أساء .

#### (٦) مقارنة بين أبي تمام والبحتري

كان جمهور أبي تمام من أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة  
وفلسفي الكلام، وكان أبو تمام حضريا لم ينفق شعره في البادية ولا عند أكثر  
الحاضرة . أما البحتري فكان بدوياً تحضر، فنفق شعره في البدو والحضر (٣)  
وقد ناقش الشاعر الميوت قضية نفاق الشعر أو كساده قال : " لا يهم كثير  
أن لا يكون للشاعر جمهور كبير في عصره ، ولكن المهم أن يكون هنالك فئة ولو  
قليلة في كل جيل " (٤) . ويرى الميوت أنه اذا تكوّن للشاعر جمهور كبير وبسرعة

(١) Leavis, F.R. "The Common Pursuit", p. 213.

(٢) الموازنة، ج ١، ص ٥١٧ .

(٣) نفس المصدر، ص ٦ .

(٤) Eliot, T.S. "On Poetry and Poets", p. 21.

فان ذلك يكون مصدرا للشكوك حيث أنه يقودنا الى التفكير بأنه لا يأتي  
بجد يد وانما يقدم للناس ما اعتادوا عليه من قبل<sup>(١)</sup>.

وهذا ما يصدق على شعر الطائيين، فالبحتري ما فارق عمود  
الشعر وطريقته المعهودة، وكان يقدم لجمهوره شعرا ألفوه، فوقع شعره  
في المتوسط، أما أبو تمام فقد نحى منحى مئزّه عن سبقه، وقصد بالصنعة  
والتجديد سائر شعره، فأحسن في بعض وأساء في البعض الآخر.

واذا كان جمهور أبي تمام من أهل المعاني وفلسفي الكلام،  
فذلك يدل على أن أبا تمام كان أقدر من صاحبه على تلبية ذوق هذه  
الصفوة من الناس والتي لا نشك في أنها كانت أكثر فئات المجتمع الباسي  
— في القرن الثالث الهجري — احساسا بتغيير الذوق، وتجدد روح العصر  
بما اتصف به من ترف فكري وغنى ثقافي، وتأنق حضاري، والذوق في كل  
عصر يتغير من جيل الى جيل رضينا ذلك أم أبينا<sup>(٢)</sup>، ولكن التعبير عن  
هذا الذوق — كما يقول البيوت — لا يتغير الا في عمل الرجل العبقرى<sup>(٣)</sup>.  
ومن هنا تبرز عبقرية أبي تمام بالنسبة لعصره، فالقارى لشعر البحتري لا  
يشعر بتفسير أساليب التعبير عن ذوق القرن الثالث عما قبله من أساليب

Eliot, T.S. "On Poetry and Poets", p. 21. (١)

Leavis, F.R. "The Common Pursuit", p. 11. (٢)

Ibid., p. 11. (٣)

ولكننا نرى في شعر أبي تمام ثورة كبرى من التفسير في أساليب التعبير عن هذا الذوق، سواء في الاكثار من ألوان البديع، أو التفسير في طبيعة الاستعارة، أو في ادخال العلم والفلسفة أو في حبّ الابداع والاغراب والتجديد، بحيث أن حضارة القرن الثالث وما حملته من ألوان فكرية وثقافية هي أزهى وأبين في شعر أبي تمام من معاصريه .

وكما أن عبقرية أبي تمام تبرز من خلال تعبيره عن ذوق القرن الثالث الهجري حين كانت ثمار العلوم والثقافات المترجمة غضة فجأة كذلك فإن عبقرية المتنبي تبرز من خلال تعبيره عن هذا الذوق حين كانت هذه الثمار في دور النضج، بحيث يصح أن يكون شعرهما منعطفين من منعطفات الحضارة العربية التي لا غنى لمتتبع تاريخها وتطورها من الوقوف عندهما ودراستهما .

وكما تبرز عظمة وردزورث Words Worth في الأدب الانجليزي، أو عظمة جوته Goethe في الأدب الألماني - من خلال تمثيل شعرهم لروح العصر وثقافته<sup>(١)</sup> كذلك تبرز عظمة أبي تمام والمتنبي في الأدب العربي .

من ذلك نرى أن مبدأ الآمدي في الموازنة بين الطائفتين فسي جزئيات الأحكام يضيق عن تذوق شعر أبي تمام وتقييمه .

(١) أنظر: Eliot, T.S. "The Use of Poetry", p. 102.

### جا تأليف الكتاب

(١) زمن تأليف كتاب الموازنة من المعلم أن وفاة أبي تمام كانت سنة ٢٣١ هـ<sup>(١)</sup> والبحري سنة ٢٨٥ هـ<sup>(٢)</sup> فكتاب الموازنة جاء بعد تراخي الزمن على الخصومة التي اشتدت حول شعر أبي تمام ومع أننا لم نقع على نص صريح يحدد زمن تأليفه ، إلا أننا سنحاول تبين ذلك ولو على وجه التقريب . وقد صرح الآمدي أنه كان قد أخذ نفسه بدراسة شعر أبي تمام والبحري منذ عهد مبكر من حياته ، وأنه كان يتلصص بحاسنها في الشعر منذ سنة ٣١٧ هـ وكان يلحق بهذه الحاسن كل ما وجدته بعد ذلك على مر الأوقات<sup>(٣)</sup> .

ويبدو أن فكرة الموازنة أو على الأقل فكرة تحديد خصائص كل من الشاعرين كانت مختصرة في ذهن الآمدي . فهو في المقدمة يقول : " هذا ما حدثت . . . على تقديمه من الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وأبي عبادة الوليد بن عبيد الله البحري في شعرهم<sup>(٤)</sup> " . وإذا فلم يكن للمخاطب — في المقدمة — من فضل أكثر من الحث والتشجيع

(١) الصولي ، أخبار البحري ، ص ٦٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٩١ .

(٣) الموازنة ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٥٥ .

على تلخيص الكتاب من الممسودات أو الملاحظات المكتوبة . هذا وقد وردت فقرات في تضعيف الكتاب تدل على أن تأليفه كان في المرحلة البصرية الثانية من مراحل حياة الآمدي . ففي بحث الآمدي لكلمة "المطابق" يقول ، "وقد رأيت قوما من البغداديين يسمّون هذا النوع المجانس المماثل"<sup>(١)</sup> . وفي موضع آخر يقول : "وعهدت مجان البغداديين يقولون . . ."<sup>(٢)</sup> . مما يغلب الظن على أن زمن تأليف الكتاب كان بعد مغادرته بغداد ورجوعه الى البصرة . وإذا علمنا أن الآمدي لم يذكر أحدا من أنصار أبي تمام وخصومه الأحياء - في كتاب الموازنة فإني أستبعد أن يذكر الصولي في معرض الذم والتجريح - وهو بعد حي - لا سيما وأن الصولي كان في آخر عمره بالبصرة .<sup>(٣)</sup> يقول الآمدي في تحقيق أحد النصوص : " . . . حتى رجعت الى النسخة المتيقة التي لم تقع في يد "الصولي" وأضرابه"<sup>(٤)</sup> . ومعلوم أن الصولي توفي سنة ٣٣٥ هـ<sup>(٥)</sup> أو سنة ٣٣٦ هـ<sup>(٦)</sup> . وبذلك يكون تأليف كتاب "الموازنة" بعيد سنة ٣٣٦ هـ بزمان قليل من الصعب تحديده .

- 
- (١) الموازنة، ج ١، ص ٢٧٥ .
  - (٢) نفس المصدر، ص ٤٤٣ .
  - (٣) الفهرست، ص ١٥٠ .
  - (٤) الموازنة، ج ١، ص ٢٠٥ .
  - (٥) ابن خلكان، ج ٣، ص ٤٨٠ .
  - (٦) المرزباني، معجم الشعراء، نشر كرنكوه، ص ٤٦٥، وانظره ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٢٠ .

(٢) أجزاء الكتاب ، حرص الآمدي على تقسيم كتابه الى أجزاء مفردة حسب الموضوعات ، وفرضه من ذلك أن يجلو كل بحث دون أن يضطره سياق التأليف الى الإيجاز والاسراع . وقد لاحظ أن هنالك كثيرا من الأبيات التي علم عليها طوال مدارسته لدواوين الشعراء لم يستطع حصرها وقت التأليف<sup>(١)</sup> هذا بالإضافة الى أن هنالك استطرادات تخرج عن سياق التأليف فأحب أن يوفيهما حقها في أجزاء مفردة .

ويبدأ كتاب الموازنة بالمعاجة بين أنصار أبي تمام وأنصار البحتري ، ثم مساوي الشعارين فسرقات أبي تمام وأحواله وغلطه وساقط شعره ، فسرقات البحتري من أبي تمام وما وقع من غلط في بعض معانيه ثم الموازنة بين الشعارين . وقد صرح الآمدي أنه سيفرد بابا لما وقع في شعر الطائيين من التشبيه ، وبابا للأمثال ، ثم يتبع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما ويجعله مؤلفا على حروف المعجم ليقرب متناوله ، ويسهل حفظه<sup>(٢)</sup> إلا أن بابي التشبيه والأمثال ثم الاختيار المجرد من شعرهما لم تصل اليها<sup>(٣)</sup> .

(١) الموازنة، ج ١، ص ١٣٣ .

(٢) نفس المصدر، ص ٥٤ .

(٣) يستغرق باب الموازنة التفصيلية بين الشعارين المجلد الثاني من كتساب الموازنة ( نشر أحمد صقر ) ، والجزء المخطوط الذي ينتهي بنهاية " وصف الشعارين لشعرهما " من الموازنة التفصيلية .

(٣) منهج الكتاب : قام الآمدي بجمع كل ما وصل الى يديه من كتب وروايات وآراء ونصوص تتعلق بالطائيين وشعرهما ، ثم أورد مساهمة من هذه الروايات على صورها الأصلية ، وبعد ذلك أخذ فسي ناقشتها وتمحيصها وتحقيق نسبة النصوص وأخذ الصالح منها ، وأضاف الى ذلك ما سمعه من روايات الى جانب آرائه الخاصة ، فكانت طريقته علمية في معظم ما جمع وألف واستنتج ، وفيما يلي محاولة لاثبات صحة ما نذهب اليه .

١- الرجوع الى المصادر : عرض الآمدي لذكر جميع المصادر الادبية وغير الادبية التي أخذ عنها ، ولم يكتف بالاشارة السريعة اليها ، بل كان غالبا ما يردفها بذكر مؤلفيها ويحدد الباب الذي أخذ عنه من الكتاب . ففي بيت لأبي تمام يقول الآمدي : "وقد عاب أبو العباس عبد الله بن المعتز بعض هذه الأبيات في كتاب "البديع" جاء بها في قبس التجنيس"<sup>(١)</sup> . أما المصادر التي ذكرها الآمدي في الموازنة فهي :

(١) "الطبقات" لابن سلام الجصي .<sup>(٢)</sup>

(٢) "الشعراء" للشاعر دعل الخزاعي .<sup>(٣)</sup>

(١) الموازنة ، ج١ ، ص ٢٦٩ ، وأنظر أمثلة أخرى في الموازنة ج١ ، ص ٢٥٧ ، ٢٨٦ .

(٢) الموازنة ج١ ، ص ١٠ ، ٣٩١ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٣ ، ٣٩١ .



- (٣) "البديع" لابن المعتز<sup>(١)</sup>  
 (٤) "سركات الشعراء" لابن المعتز<sup>(٢)</sup>  
 (٥) "الشعراء" لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح<sup>(٣)</sup>  
 (٦) "الورقة" لأبي عبد الله الجراح أيضا<sup>(٤)</sup>  
 (٧) "سركات البحري من أبي تمام" لأبي الضياء بشر بن يحيى<sup>(٥)</sup>  
 (٨) "الاختيارات الشعرية" لأبي تمام<sup>(٦)</sup>  
 (٩) "معاني الشعر" للاشنانداني<sup>(٧)</sup>  
 (١٠) "سركات أبي تمام" لابن أبي طاهر<sup>(٨)</sup>  
 (١١) "أخطاء أبي تمام" لأبي العباس أحمد بن عمار القطريلي<sup>(٩)</sup>  
 (١٢) "الخريب المصنف" لأبي عبيد القاسم<sup>(١٠)</sup>

- 
- (١) الموازنة، ج ١، ص ١٧، ١٨، ٣١، ١٣٤.  
 (٢) نفس المصدر، ص ٧٤، ٢٥٧.  
 (٣) نفس المصدر، ص ١٩، ٢٦.  
 (٤) نفس المصدر، ص ١٣٤.  
 (٥) نفس المصدر، ص ٥٢، ٣٠٤.  
 (٦) نفس المصدر، ص ٥٥.  
 (٧) نفس المصدر، ص ١٠٤.  
 (٨) نفس المصدر، ص ١١٠.  
 (٩) نفس المصدر، ص ١٣٦.  
 (١٠) نفس المصدر، ص ٢٣٥.

- (١٣) "نقد الشعر" لقدامة بن جعفر .<sup>(١)</sup>  
 (١٤) "كتاب الخيل" لأبي عبيدة .<sup>(٢)</sup>  
 (١٥) "كتاب الأنواء" لأبي حنيفة الدينوري .<sup>(٣)</sup>  
 (١٦) "النوادر" لأبي زيد .<sup>(٤)</sup>  
 (١٧) "النوادر" لابن الأعرابي .<sup>(٥)</sup>

هذا بالإضافة الى كتب شيوخه من أهل اللغة والنحو من مثل  
 أبي العباس ثعلب، وأبي العباس المبرد، والنزاج والكسائي والفسراء وابن  
 دريد وغيرهم، علاوة على دواوين الشعر المختلفة .

٢- تحقيق النصوص ونسبتها: يحرص الآمدي على البيت في أمر  
 النصوص المختلفة، فيوثقها ان توافرت الأدلة على صحتها، أو يبيد شكها فيها  
 ان أعوزها الدليل، ففي بيت لبعض شعراء بني أسد يقول الآمدي: "وظننته  
 مصنوعاً حتى وجدت عبد الله بن المعتز ذكر ٠٠٠ عجز هذا البيت للكثير  
 بن زيد" .<sup>(٦)</sup> وفي بيت للابيرد بن المعتز الرياحي يقول: "وقد جعل بعض  
 الرواة هذا البيت أول قصيدة لأمي القيس على هذا الوزن، وذلك باطل".<sup>(٧)</sup>

- (١) الموازنة، ج ١، ص ٢٧٤ .  
 (٢) نفس المصدر، ص ٢٨٦ .  
 (٣) نفس المصدر، ص ٤٥٦ .  
 (٤) نفس المصدر، ص ٤٦٦ .  
 (٥) نفس المصدر، ص ٣٦٢ .  
 (٦) نفس المصدر، ص ٧٤ .  
 (٧) نفس المصدر، ص ٤١٧ .

وفي ردّ الأبيات الى قائلها يقول الآمدي عن أبيات وجدها في ديوان ابن قيس الرقيات "والصحيح أنها لأبي العباس الأعمى"<sup>(١)</sup>.

هذا بالإضافة الى الرجوع - في تحقيق شعر الطائيين - الى مختلف النسخ من ديوانيهما، مع مقارنة هذه النسخ بعضها ببعض. ففي بيت لأبي تمام يقول: "٠٠٠" والذي في نسخة أبي سعيد السكري وأبي العلاء محمد بن العلاء وغيرهما ٠٠٠ الخ<sup>(٢)</sup> وكثيرا ما يردّد الآمدي ذكر النسخ المختلفة التي رجس اليها في تحقيق شعر الطائيين كقوله: "كذلك وجدته في أكثر النسخ"<sup>(٣)</sup> "وقد رأيت في بعض النسخ"<sup>(٤)</sup> "ووجدت في أكثر النسخ العتق"<sup>(٥)</sup>.

٢- الرجوع الى أهل الاختصاص: وتبدو دقّة الآمدي في البحث وطريقته العلمية في التأليف في الرجوع الى أهل الاختصاص - كل فسي ميدانه - فيما دق عليه من معان، بحيث لم يترك مجالا للحدس أو التوهم. ففي ما يتصل بالخيال وأسمائها وطبائعها يرجع الى كتاب "الخيال" لأبي عبيدة<sup>(٦)</sup> وفي باب "الرياح" وأسمائها يرجع الى كتاب "الأنواء" لأبي حنيفة الدينوري<sup>(٧)</sup> وفي الغريب من المفردات يرجع الى كتاب "الغريب المصنف" لأبي عبيد القاسم<sup>(٨)</sup> وغير ذلك من كتب اللغة والتفسير أتينا بها على سبيل المثال لا الحصر.

- |                                    |                         |
|------------------------------------|-------------------------|
| (١) الموازنة، ج١، ص ١٤١            | (٢) الموازنة، ج٢، ص ٤٦  |
| (٣) الموازنة، ج١، ص ٣٨٦            | (٤) الموازنة، ج١، ص ٣٨٧ |
| (٥) الموازنة، الجزء المخطوط، ص ١٣٣ |                         |
| (٦) الموازنة، ج١، ص ٢٨٦            | (٧) الموازنة، ج١، ص ١٥٦ |
| (٨) الموازنة، ج١، ص ٢٣٥            |                         |

## الباب الثالث

الآمدي الناقد من خلال كتاب الموازنة

الباب الثالث  
الآمدي الناقد من خلال كتاب الموازنة

أ . قضية القديم والمحدث ،

كان أئمة اللغة يقبلون على الشعر الجاهلي للاستشهاد به في التفسير والنحو ، ولم يكونوا يلقون بالا الى الشعر المحدث لقلّة ثقتهم به . ومع الزمن اكتسب الأدب الجاهلي تمجيذا وتمظيما بسبب كونه وسيلة لغاية مقدّسة . فقد كان أبو عمرو بن العلاء لا يعد الشعراء ما كان للمتقدمين<sup>(١)</sup> وكان ابن الأعرابي يقول : " القديم أحب الي<sup>(٢)</sup> " . وقد لخص ابن رشيق القيرواني آراء أئمة اللغة في الشعر قال : " هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه : كالأصمعي وابن الأعرابي - أعني أن كل واحد منهم يذهب فسي أهل عصره هذا المذهب ويقدم من قبلهم - وليس ذلك لشئ<sup>(٣)</sup> إلا لحاجتهم في الشعر الى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون ثم صارت لاجبة<sup>(٤)</sup> " . ويقول الجاحظ : " ولم أر غاية النحويين الا كلّ شعر فيه اعراب ، ولم أر غاية رواة الاشعار الا كلّ شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج الى الاستخراج ولما أر غاية رواة الأخبار الا كلّ شعر فيه شاهد والمثل<sup>(٤)</sup> " .

(١) ابن رشيق، العمدة، ج١، ص ٩٠ .  
(٢) الرزيقي، الموشح، ص ٣٨٤ .  
(٣) العمدة، ج١، ص ٩٠-٩١ .  
(٤) البيان والتبيين، ج٤، ص ٢٤ .

والواقع أن أئمة اللغة والاعباريين لم ينظروا إلى الشعر المحدث نظرة تحليلية كاملة، ولهذا لم يستطيعوا — من خلال مذهبهم — تحليل جمال الشعر القديم وسبب اعراضهم عن الشعر المحدث. روى عبد الله التميمي قال: "كنا عند ابن الأعرابي، فأنشده رجل شعرا لأبسي نواس أحسن فيه فسكت. فقال له الرجل: أما هذا من أحسن الشعر؟ قال: فقال بلى، ولكن القديم أحب الي<sup>(١)</sup>".

أما الأدباء — وفيهم الكتاب — فكانوا يرون أن الشعر المحدث أرق ألفاظاً وأبداع معاني، وأكثر تعبيراً عن مظاهر الحضارة الجديدة بما فيها من رياض وقصور وخمر وريحان، فالقدماء في هذه أبداً دونهم، كما أنهم دون القدماء في وصف الصحاري والبر والوحش والابل والأخبية<sup>(٢)</sup>.

وبعد أوائل النصف الثاني من القرن الثالث الهجري بدأت طائفة من الأدباء ممن أقبلوا على دراسة الشعر القديم والمحدث معاً على حسن سواء، ينظرون إلى الجيد من الشعر غير آبهين بمصدره أو زمان قائله. وأول أولئك الأدباء الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) الذي دعا البصير بجوهر الشعر أن يتعرف موضع الجيد ممن كان وفي أي زمان كان<sup>(٣)</sup>.

(١) المرزباني، الموشح، ص ٣٨٤.

(٢) انظر: الصولي، أخبار أبي تمام، ص ١٧.

(٣) كتاب الحيوان، ج ١، ص ١٣٠.

وجاء أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) بآراء تطبيقية في المفاضلة بين الشعراء - وهو في ذلك تلميذ الجاحظ - قال: "ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له ، سبيل من قلّس أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، وإلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره . بل نظرت بعين العدل على الفريقين ، وأعطيتهما كلا حظهما ووفرت عليه حقه<sup>(١)</sup> . ومثل هذه النظرة من أديب لغوي ومقدم عند أئمة اللغة تعتبر طفرة جديدة في تغيير ذوق اللغويين ، وفي تقريب الشعر المحدث إليهم .

وجاء ابن المعتز (ت ٢٩١هـ) فدرس الشعر المحدث دارسته للشعر القديم وألف رسالة في محاسن شعر أبي تمام ومساوئيه ، أشار فيها<sup>(٢)</sup> إلى مواطن الجودة والابداع في شعره ، وبين الرذل والساقط من معانيه . ودافع ابن المعتز عن أبي تمام وطريقته الشعرية قائلاً: "وأكثر ما له جيد ، والردى الذي له إنما هو شيء يستغلق لفظه فقط ، فأما أن يكون في شعره شيء يخلو من المعاني اللطيفة ، والمحاسن والبدع الكثيرة فلا"<sup>(٣)</sup> .

(١) الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٢) راجع فصولاً من هذه الرسالة في كتاب "رسائل ابن المعتز" جمع محمد عبد المنعم خفاجي ، وكتاب "الموشح" للمرزباني .

(٣) طبقات الشعراء ، ص ٢٨٦ .

وما أن جاء نقدة القرن الرابع الهجري حتى كانت أشعار الأوائل  
قد نزلت لهم وكانوا قد ألفوا أشعار المحدثين وتدارسوها، فجمعوا بين  
الشعر القديم والمحدث . وقد كان لغنى عصرهم الأدبي والفلسفي أثر كبير  
في تحزير أذواقهم الأدبية بالعلل والاسباب فجاء نقدهم قريبا من الدراسة  
العلمية الواقعية — كقدامة ابن جعفر ولحد ما صاحبتنا أبي القاسم الآمدي،  
والقاضي عبد العزيز الجرجاني .



## ب. قضية اللفظ والمعنى

(١) ثنائية اللفظ والمعنى : لقد استحوذ على نظرة الأقدمين من أهل العلم بالشعر - وفيهم الآمدي - فكرة الثنائية بين اللفظ والمعنى . فالجاحظ يرى الشعر ضرباً من النسيج وجنساً من التصوير<sup>(١)</sup> ، والآمدي يرى الشعر صناعة كثير من الصناعات<sup>(٢)</sup> ، وذهب عبد الجبار المعتزلي إلى أن حال التأليف حال الثياب المنسوجة<sup>(٣)</sup> . وشبه ابن خلدون الألفاظ بالقوالب والأواني<sup>(٤)</sup> . في كل هذه التعبيرات وما يشبهها - يقول الدكتور مصطفى ناصيف - "تعتبر اللفظة مجرد كساء" نغطي به أفكارنا ، أفكارنا موجودة واللفظة غلاف عليها ، والغلاف مسروق منفصل عما يحتويه . هناك محتوى منفصل عن الصورة الخارجية التي جيء بها لكي يبدو أكثر وجاهة . الغلاف لا يغير طبيعة المحتوى ولا يدخل عليه تعدد بلا جوهرياً<sup>(٥)</sup> . المبنى يضاف إلى المعنى كما يضاف الخطأ إلى وهائه ، أو كما يلبس الإنسان ثوبه<sup>(٦)</sup> .

والجاحظ في قوله : "المعاني مطروحة في الطريق" يعرفها المعجمي والمصري والبدوي والقروي والمدني ، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخدير الألفاظ وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك<sup>(٧)</sup> . قد أعطى للآمدي فكرة الصياغة الشعرية . فالآمدي يرى أن لطائف المعاني موجودة في كل أمة وفي كل لغة ، ومن أتى بها يصح أن يسمى حكيماً أو فيلسوفاً ولكن لا يسمى شاعراً لأن طريقته ليست على طريقة العرب<sup>(٨)</sup> ولا على مذاهبيهم . والشعر عند الآمدي هو حسن التأني ، وقرب المأخذ ، واختيار

- |                                     |   |
|-------------------------------------|---|
| (١) أنظر: كتاب الحيوان، ج٣، ص ١٣٢ . | (٥) نظرية المعنى في النقد العربي ص ٤١ . |
| (٢) أنظر: الموازنة، ج١، ص ٤٠٢ .     | (٦) نفس المصدر والصفحة .                |
| (٣) المغني، ج١، ص ٢٠١ .             | (٧) كتاب الحيوان، ج٣، ص ١٣١ .           |
| (٤) المقدمة، ج١، ص ٥٠٦ .            | (٨) الموازنة، ج١، ص ٤٠١ .               |

الكلام، ووضع الألفاظ في مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله<sup>(١)</sup>. فالألفاظ عند الآمدي هي الأصل، والمعاني شيء ثانوي، ومثل هذه الثنائية بين اللفظ والمعنى حالت دون نظرة الآمدي إلى الصياغة الشعرية على أنها خلق لمعنى جديد، وأن هذه الصياغة "تأتي من الأصوات والمقاطع والمعاني وكل تلك الصلات التي يكتشفها الشعراء" بينها أو التي يأتون بها إلى حيز الوجود، وأنه من عمل الشعراء إيجاد هذه الصلات وهذا يعني اختراعهم لها<sup>(٢)</sup>. إن الصياغة الشعرية تتميز - كما يقول الدكتور ليفس Leavis بالقوى المتنوعة والحركات التي توجه الشعر والتي تفرض نفسها على القارئ عندما يلفظ الجمل، ويتتبع الكلمات ويحافظ على السياق العام<sup>(٣)</sup>.

إن نظرة الآمدي إلى الصياغة الشعرية على أنها ضرب من تخير الألفاظ تجعد الشعر عند حدود التقنن الشكلي والبراعة النافلة، وسيبقى الشاعر تبعاً لذلك أسير اللغة وقوالبها، يقدم ويؤخر، ويصل ويفصل حتى تبدو بشكل رائق، وبذلك يبقى الشاعر قابلاً في ظلال المعاني المتداولة المعروفة. أما أن يبصر الشاعر أفقاً أعلى من أفقه، أو يلمح رؤى وعلاقات يعز على غيره رؤيتهما فذلك ما لم يدركه الآمدي. وقد كان الامام عبد القاهر الجرجاني أبعد نظراً في تقسيمه المعاني إلى عقلية وتخيلية وتبيينه أن

(١) الموازنة، ج١، ص ٤٠٠.

Brower, "On Translation", p. 68.

(٢) أنظر:

Leavis, F.R. "The Common Pursuit", p. 16.

(٣)

المعاني التخيلية هي ميدان السبق، ومجال التفوق . ففي قول أبي تمام،

لا تنكري عطل الكرم من الغنى      فالسيل حرب للمكان العالي

يقيم الشاعر علاقات تخيلية بين الكرم والمكان العالي، وبين الغنى والسيل، وهذه العلاقات غير موجودة في واقع العقل، وإنما أقامها الشاعر من خلال رؤيته الكاشفة للعلاقات بين الأشياء، ومن خلال لمحاه لأوجه شبه لا يراها العادي من الناس، ومن هنا فالشاعر في رؤيته الكاشفة للعلاقات بين الأشياء قد يضارع الكشف الفلسفي والصوفي .

ان البحري الذي وقف الآمدي عند شعره معجبا مصفقا ليتضائل أمام هذه الومضات العملاقة التي خلّق أبو تمام الى أجوائها والتي لا يحلم البحري بالوصول اليها . ولعلّ البحري قد لمس هذا العجز بنفسه عندما قال معترفاً "جيدّه خير من جيدي"<sup>(١)</sup> . ان الآمدي لم يستطع بمقاييسه الشعرية الضيقة أن يبصر هذه الومضات الكاشفة في شعر أبي تمام فطفق يبحث له عن لفظة مستغربة، أو نسج مضطرب، أو خطأ نحوي أو عروضي، ولما استطاع المتنبي (ت ٣٥٤ هـ) أن يتابع خط أبي تمام دون أن تتخون شعره اللغة لم يستطع الآمدي أن يحري جواباً، ولعلّ ذلك ما يفسّر اشاحة الآمدي عن شعر المتنبي وعدم ذكر شيء له في تضعيف كتبه .

(١) الموازنة، ج١، ص ١٢٠

(٢) الألفاظ في الشعر - يرى الآمدي أنه ينبغي على الشاعر الحضري أن يأتي في شعره بالألفاظ العربية المستعملة في كلام الحاضرة، فإن اختار أن يأتي بما لا يستعمله أهل الحضر، فمن سبيله أن يجعله من المستعمل في كلام أهل البدو دون الوحشي الذي يقل استعمالهم إياه، وأن يجعله متفرقا في تضاعيف ألفاظه، ويضعه في مواضعه، فيكون قد اتسع مجاله بالاستعانة به، ودل على فصاحته وعلمه وتخلص من الهجنة<sup>(١)</sup>. والآمدي في ذلك تلميذ البلاغيين الذين ينزلون الألفاظ منازل متفاوتة. فالجاحظ يحظر على ابن الحاضرة استعمال الغريب الوحشي، ولكنه يسمع البدوي والأعرابي<sup>(٢)</sup>. ويقول: "الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس"<sup>(٣)</sup>. ويقول ابن المعتز: "ولم نعبأ من هذه الألفاظ شيئا غير أنها من الغريب المصدود عنه، وليس يحسن من المحدثين استعمالها لأنها لا تجاور بأثلاثها، ولا تتبع أشكالها، فكانها تشكو الغربة في كلامهم"<sup>(٤)</sup>.

ولا يرذل البلاغيون - وفيهم الآمدي - الوحشي من الألفاظ لوحشيته ولكنهم يرون أن للحاضرة ألفاظا رقيقة تلائم طبيعتها كما أن للبادية ألفاظا تلائم طبيعتها.

- 
- (١) الموازنة، ج ١، ص ٤٤٤.  
 (٢) البيان والتبيين، ج ١، ص ١٤٤.  
 (٣) نفس المصدر والصفحة.  
 (٤) رسائل ابن المعتز، ص ٢٣.

وان كما نعجب ببداً الآمدي في استهجان الوحشي من الالفاظ،  
فاننا لا نوافق في ابدال العامي منها لعاميته ، أو أن تكون اللفظة من  
ألفاظ العوام - كما يقول - سخيفة في نفسها .<sup>(١)</sup> ففي قول أبي تمام:

جليل والموت مبد حرّ صفحته وقد تفرعن في أفعاله الأجل

يرى الآمدي أن "تفرعن" مشتق من اسم فرعوت وهو من ألفاظ العامة - كما  
يقول - وفي غاية الركاقة والسخافة .<sup>(٢)</sup> وفي قول أبي تمام:

من ذاك أجهد أن أراه ولا أرى حقاً سوى الدنيا تسمى باطلا

يرذل الآمدي قول أبي تمام "أجهد أن أراه" لأنه كما يقول: من سخيّف  
ألفاظ العوام، وليس من ألفاظ الشعر .<sup>(٣)</sup>

ومثل هذا البدا في تخليص الشعر من الألفاظ العامية يحجر  
حيويتها، وينشف عروق الحياة فيها ويحولها الى رسوم عقيدة، فاللغة كأي  
كائن حي في تطوّر مستمر لأنها تعبير مستمر من الحياة . وقد تغنى اللغة  
بالاشتقاق من اللغات المحلية والعامية - كما هو الحال في اللغات  
الجرمانية - واللغة التي لا تقبل الاضافة من لغات أخرى هي لغة جامدة

(١) الموازنة، الجزء المخطوط، ص ١٨٠ .

(٢) الموازنة، جزء، ص ٢٢٧، والموازنة، الجزء المخطوط، ص ٩٤ أ .

(٣) الموازنة، الجزء المخطوط، ص ١٨٠ .

ومآلها الى الفناء . يقول الدكتور علي عبد الواحد في سياق كلامه عن اللغويين الذين يحاولون الحفاظ على اللغة المكتوبة: " حقا انه يمكن التحكم في لغة الكتابة والجمود بها زمنا طويلا على أصولها القديمة أو ما يقرب منها . ولكن لغة الكتابة التي تجمد بهذا الشكل لا تمثل تمثيلا صحيحا حالة الحياة في الأمة، وتتسع كثيرا مسافة الخلف بينها وبين لغة المحادثة، لأن هذه اللغة الأخيرة في تطوّر مطرد . . . فلا تنفك تبعد عن لغة الكتابة الجامدة حتى تصبح كل منهما غريبة عن الأخرى، ويصبح تعليم لغة الكتابة في الأمة أشبه بتعليم لغة أجنبية<sup>(١)</sup> . ويشبه فيندرايس Vendryes لغة الكتابة الجامدة بجبل من الثلج الطافي على سطح البحر، ولغة المحادثة المتطورة بالتيارات المائية التي توج تحته . فمهما طال بقاء هذا الثلج، فان مصيره السقوط الذوبان، وحينئذ تطفو تلك التيارات الدائبة الى سطح البحر، وتعيد اليه ما كان مستورا تحت هذا الجبل الجامد من مظاهر النشاط والحياة<sup>(٢)</sup> .

ويرى الأستاذ أحمد أمين أن كثيرا من الكلمات العامة تصبح بمرور الزمن صحيحة جديدة بالاستعمال في الأسلوب الأدبي، وأنه ليس هناك من قاعدة عملية عامة يمكن أن توضع كمرشد في مثل هذه المسائل الا مهارة الأديب<sup>(٣)</sup> ولباقتة .

(١) علم اللغة، الطبعة الرابعة، ١٩٥٧م، ص ٢٢٨ .  
 (٢) Vendryes, J. "Language", p. 275-276.  
 (٣) النقد الأدبي، جاء، ص ١١٠ .

(٣) الاستعارة: هي استعارة المعنى لما ليس هو له اذا كان يقاربه أو يناسبه أو يشبهه في بعض أحواله ، أو كان سببا من أسبابه<sup>(١)</sup> والاستعارة موجودة في كل لغة<sup>(٢)</sup> وهي وسيلة للتعبير عن الفكرة المعقدة لا عن طريق التحليل أو طريق الاخبار المباشر ولكن عن طريق اللمح السريع لوجه الشبه بين الاشياء المتفرقة<sup>(٣)</sup> . ومن هنا تتباين عبقريات الشعراء في اتساع الأفق والرؤية الكاشفة واللمح السريع لأوجه الشبه والصلات بين الأشياء ، ولذلك قال أرسطو : " الاستعارة سمة العبقرية " .

ان الآمدي وغيره من اللغويين<sup>(٤)</sup> كانوا يأخذون على أبي تمام واغرابه في الاستعارة ويرون ذلك عيبا وتقصيرا ، وكانوا يشترطون وضوح وجه الشبه بين المستعار والمستعار له ليكون كلامه فهوما ، أما أبو تمام فكان يعتمد الايغال في الاستعارة ، ويحوم على أوجه شبه تدق وتخفى على غيره من الناس ، ولذلك كان جواب من سأله : لم تقول ما لا يفهم ؟ قوله : لم لا تفهم ما يقال؟<sup>(٥)</sup>

ان الآمدي لم يستطع أن يتابع أبا تمام في أوجه الشبه والصلات التي يعقدها بين الاشياء في استعاراته ، فطفق ينحو عليه باللائمة لخروجه

- 
- (١) أنظر: الموازنة، ج١، ص ٢٥٠، والسكاكي ،فتاح العلوم، ص ١٦٤ .  
 (٢) أنظر: Empson, William "The Structure of Complex Words", p. 331.  
 (٣) Ibid., p. 339.  
 (٤) أنظر: الوساطة، ص ٤٣٣، ومفتاح العلوم، ص ١٦٤ .  
 (٥) الموازنة، ج١، ص ٢١ .

عن الصلات الواضحة القريبة . ولذلك نقول ان قاييس الآمدي النقدية قد قصرت عن تفهم استعارات أبي تمام .

ان الشاعر سيبقى أبدا رائدا ومبدعا، وعلى الناقد أن يفهم ويوضح . والشاعر برؤيته الكاشفة للصلات الدقيقة القائمة بين الأشياء يستطيع — كالفيلسوف — أن يبني من الجزئيات رؤية كلية واضحة للوجود وللحياة، فهو يستوي على مرتبة لا تقل عن الفيلسوف أو الصوفي في السبق الى هذه الرؤية الكاشفة .

ولا بأس من الوقوف قليلا عند بعض استعارات أبي تمام التي ينزع فيها الى الاغراب . يقول أبو تمام من قصيدته في فتح عمورية:

يا يوم وقعة عمورية انصرفت    عنك المعنى حفلا معسولة الحلب  
يقول أبو تمام: ان الأمانى الحافلة بالتطلع الى النصر وأمل الغلبة أصبحت بفتح القلعة حلوة حلوة المعسل، انها أشبه بضرع حافل يدرّ عسلا .

ان يكون هناك ضرع يدر عسلا بدل الحليب ؟ تلك صورة غريبة ولكنها صورة معبرة عن الحضارة الرخية في القرن الثالث الهجري . وفي قول أبي تمام:

رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه    بكلكم ما ماريت في أنه بـسرد



يقول الآمدي: "والخطأ في هذا البيت ظاهر، لأنني ما علمت أحدا من شعراء الجاهلية والاسلام وصف الحلم بالرقّة، وإنما يوصف بالعظم والرجحان والثقل والرزانة"<sup>(١)</sup> وهنا نرى الفرق شاسعا بين ذوق أبي تمام الذي كان صورة لحضارة القرن الثالث الهجري، بما تحمل هذه الحضارة من ترف فكري وحضاري وتأنق في جمع مظاهر الحياة، وبين ذوق الآمدي الذي ظلّ اسير صور البسداوة وخشونتها. وواضح أن أبا تمام كان ينزع في استعاراته الى نوع من التأثير بطريق التداعي أو ما يسميه الغربيون Association ولا تخفى مثل هذه الوسيلة ونجاحها في أساليب الدعاية والعرض والاعلان في حضارتنا المعاصرة. فقد جمع أبو تمام في بيته السابق بين الحلم وحواشي الأبرار كتمبير عن الرقة والظرف. ولم يكن أبو تمام يجهل تشبيه العرب الحلم بالجبال، وهو الذي أعجب الأقدمين باختياراته الشعرية حتى قال المبرد: "ما رأيت أحدا قط أعلم بجيد الشعر منه بيمه وحديثه من أبي تمام"<sup>(٢)</sup>. ويقول الآمدي: ".... وأنه ما فاته كثير من شعر جاهلي ولا اسلامي ولا محدث الا قرأه وطالع فيه"<sup>(٣)</sup>.

(١) الموازنة، ج١، ص ١٣٨.

(٢) المرزوقي، شرح الحماسة، ص ١٤.

(٣) الموازنة، ج١، ص ٥٦.

## جـ . قضية السرقات الشعرية

جاء الآمدي بعد تراخي الزمن على الخصومة الأدبية التي قامت حول شعر أبي تمام والبحتري، فوجد عدة كتب قد ألفت في سرقات أبي تمام والبحتري بالإضافة إلى السرقات المتفرقة التي وردت في تضاعيف الكتب التي ألفت في أخبار الشعراء ومعانيهم، وأهم هذه الكتب هي:

(١) كتاب "سرقات الشعراء" لابن المعتز، وقد نقل عنه الآمدي في مواضع متفرقة من كتاب الموازنة<sup>(١)</sup>.

(٢) كتاب "سرقات الشعراء" لابن أبي طاهر<sup>(٢)</sup> (ت ٢٨٠ هـ).

(٣) كتاب "سرقات البحتري من أبي تمام" لابن أبي طاهر<sup>(٣)</sup> أيضا.

(٤) كتاب "سرقات البحتري من أبي تمام" لأبي الضياء بشر بن يحيى<sup>(٤)</sup> الكتاب.

(٥) كتاب "السرقات الكبير" لأبي الضياء بشر بن يحيى<sup>(٥)</sup> الكتاب.

وسنحاول فيما يلي تبين القواعد العامة التي سار عليها الآمدي في معالجته

- 
- ((١)) أنظر: الموازنة، ج١، ص ٧٤، ص ٢٥٧، ص ٢٦٤، ص ٢٨٦.  
 (٢) الفهرست ص ١٤٦، معجم الأدباء، ج٣، ص ٨٧.  
 (٣) الفهرست ص ١٤٦، معجم الأدباء، ج٣، ص ٨٧.  
 (٤) الفهرست ص ١٤٩، معجم الأدباء، ج٧، ص ٧٥.  
 (٥) الفهرست ص ١٤٩، معجم الأدباء، ج٧، ص ٧٥.

## لقضية السرقات الشعرية:

يضي الآمدي على سنن شيوخه في أن السرقات ليست من كبير مساوي الشعراء يقول: "ان من أدركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوي الشعراء، وخاصة المتأخرين إذ كان هذا باباً ما تعرّى منه متقدم ولا متأخر"<sup>(١)</sup> ويصرح الآمدي بأنه لم يعبأ بسرقات أبي تمام والبحتري ولكن أصحاب أبي تمام ادعوا أنه أول سابق، وأنه أصل في الابتداء والاختراع، فكان لزاماً عليه أن يخرج ما استعاره أبو تمام من معاني الناس<sup>(٢)</sup> ولتحقيق العدل في الموازنة بين الشاعرين وجب عليه - كما يقول - تتبع ما أخذه البحتري أيضاً من معاني الشعراء<sup>(٣)</sup> وفيما يلي محاولة لحصر هادي الآمدي في تحديد السرقات:

(١) يقرّر الآمدي أن السرقة إنما يكون في البديع الذي ليس للناس فيه اشتراك . والمعنى البديع في تعريف الآمدي هو المعنى الذي يخترعه الشاعر ويختص به مما ترتفع الظنة فيه أن يقال أنه قد أخذه من غيره .<sup>(٤)</sup> فقد كان أبو تمام يقول: أنا ابن قولي،

(١) الموازنة، ج ١، ص ٢٩١ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) نفس المصدر، ص ٣٢٥ .

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الأول  
 كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل  
 تماما كما كان أبو نواس يقول : أنا ابن قولي :

إذا امتحن الدنيا لبیت تكشفته له عن عدو في ثياب صديق  
 وكما كان يقول مسلم بن الوليد :

تجود بالنفس إذ ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود  
 وكما يقول دعلج : أنا ابن قولي :

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى<sup>(١)</sup>

(٢) يؤكد الآمدي أثر البيئة الواحدة في تجهيز الشعراء بحشد من  
 المعاني المتقاربة فيقول : "غير منكراً لشاعرين تناسبين من أهل بلدتين تقاربتين  
 أن يتفقا على كثير من المعاني ، ولا سيما ما تقدم الناس فيه ، وتردد في  
 الأشعار ذكره ، وجرى في الطباع والاعتقاد من الشاعر وغير الشاعر استعماله"<sup>(٢)</sup>  
 فالآمدي يرى أن أبناء البيئة الواحدة يتفقون في الألفاظ والمشاهد بل وطريقة  
 التفكير والطباع فليس بعيداً أن تقع معانيهم متقاربة أو متشابهة . هذا ويعتبر

(١) الموازنة، ج ٢، ص ٥٧-٥٨ .

(٢) الموازنة، ج ١، ص ٥٣ .

العلم الحديث البيئة مع الوراثة الدعامتين الأساسيتين في تحديد شخصية الفرد وطريقة تفكيره . ولا يقف الآمدي عند تقارب المعاني عند شعراء أبناء البيئة الواحدة بل يذهب الى الاقرار باتفاق الخواطر وخاصة فيما يشاهد (١) وصفه .

(٣) رد الآمدي كثيرا من السرقات الى محفوظ الشاعر أو كثرة ما يطرق سمعه من شعر فتعلق هذه المعاني في ذهن الشاعر معتمدا للأخذ أو غير معتمد . (٢)

(٤) أقر الآمدي ان اختلاف المفرضين ينفي السرقة . من ذلك قول أبي تمام :

وليمت فرحة الأبواب الا لموقوف على ترح السوداع  
وقول البحتري :

ما لشيء بشاشة بعد شيء كملاق مواشك بعد بسين

ففرض كل واحد من هذين الشاعرين في هذين البيتين مخالف لفرض صاحبه فليس — وان كان جنس المعنيين واحد — كما يقول الآمدي يصح أن يقال ان أحدهما أخذ من الآخر . (٣)

(١) الموازنة، الجزء المخطوط، ص ٦٨ ب .

(٢) الموازنة، جاء، ص ١٠ .

(٣) نفس المصدر، ص ٣٣١ .

وقد ميّز الآمدي بين أنواع مختلفة من السرقات وخصائصها من ذلك:

١- الطاف المعنى وتجويده: يرى الآمدي أن المتأخر إذا كشف معنى للمتقدم وأحسن العبارة عنه صار أولى به <sup>(١)</sup> . وذلك كقول دعلج:

ان امرأ أسدى الي بشافع يرجى لىدى الشكر منى لأحمق

شفيحك فاشكر في الحوائج انه يصونك عن مكرومها وهو يخلق

فأخذه أبو تمام فقال وألطف المعنى وأحسن اللفظ:

فلقيت بين يديه حلو عطائسه ولقيت بين يدي مرّ سؤاله

واذا امرؤ أسدى اليك صنيمه من جاعه فكأنها من ماله <sup>(٢)</sup>

٢- التقصير في الأخذ: من ذلك قول الطائي:

والشيبان طرد الشباب بياضه كالصبح أحدث للظلام أفولا

أراد قول الفرزدق:

والشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصبح بجانبه نهـار

<sup>(٣)</sup>  
فقصر عنه .

(١) الموازنة، الجزء المخطوط، ص ٧٤ .

(٢) الموازنة، ج ١، ص ٦٧ .

(٣) نفس المصدر، ص ٦١ .

٣- احالة المعنى الى غرض آخر، كقول امرئ القيس:

سموت اليها بعدما نام أهلها      سمو حباب الماء حالا على حال  
أخذه أبو تمام وعدل به الى وجه المديح فقال:

سما للعلا من جانبها كليهما      سمو عباب الماء جاشت غواريه<sup>(١)</sup>

٤- عكس المعنى: وذلك كقول أبي العتاهية:

كم نعمة لا تستقل بشكرها      في طي أحناء المكاره كامنه

أخذه أبو تمام فقال وأحسن لأنه جاء بالزيادة التي هي عكس المعنى الأول.

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت      ويبتلي الله بعض القوم بالنعيم<sup>(٢)</sup>

٥- السرقة في اللفظ والمعنى معاً، وهو أوضح أنواع السرقة، وذلك

كقول الفرزدق يهجو جريراً:

أنتم قرارة كل مدفع سوءة      ولكل سائلة تسير قرار

أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى جميعاً فقال:

وكانت لوعة ثم اطمأنت      كذاك لكل سائلة قرار<sup>(٣)</sup>

(١) الموازنة، ج ١، ص ٧٩.

(٢) نفس المصدر، ص ٨٩.

(٣) نفس المصدر، ص ٧٩.

هذه هي المبادئ العامة التي سار عليها الآمدي في معالجته قضية السرقات . فالآمدي لا يعدّ السرقات كبير عيب ، ولا يريد أن يقف عندها طويلاً . وبالإضافة الى ذلك فقد كان يدرأ الأمور بالشبهات ويسقط كل ما احتل التأويل ، ودخل تحت المجاز ، ولاحت له أدنى علة<sup>(١)</sup> . ويرى الاستاذ محمد مصطفى هدارة أن نظرة الآمدي هذه الى مشكلة السرقات جديدة ومشبعة بروح التسامح الذي قد ينبىء عن فهم لحقيقتها<sup>(٢)</sup> . وفكرة التقليل من أهمية السرقات الشعرية وجدت صداها في فهم النقد الحديث فهذا الشاعر الانجليزي ت.س. اليوت يكتب بعد الآمدي بتسعة قرون، يرى أن الشاعر قد يستعير أفكار غيره ، وهذا حق مشروع - كما يقول - على أن يعطيها من نفسه وعبقريته لتصبح خاصة به<sup>(٣)</sup> . ويذهب اليوت الى أكثر من ذلك فيقول: "ان ابداع القدامى سيجد طريقه الى الحياة والخلود من خلال ابداع الشعراء المعاصرين"<sup>(٤)</sup> . ويرى الدكتور شوقي ضيف أن رب فكرة مسبقة تفوق فكرة مبتكرة لم تسبق، فالابتكار من حيث هو ليس صفة فنية بديعة ، انما الابداع هو اخراج الفكرة في وضع جديد يلفت الانظار<sup>(٥)</sup> .

(١) الموازنة، ج١، ص ١٣٦ .

(٢) مشكلة السرقات في النقد العربي، ص ١٢٢ .

(٣) أنظر: Eliot, T.S. "The Use of Poetry", p. 99.

(٤) أنظر: Eliot, T.S. "On Poetry and Poets", p. 22.

(٥) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص ١٧٣ .



ولكن الذي يؤخذ على الآمدي في معالجته لقضية السرقات الشعرية  
 — شأنه في ذلك شأن النقاد الأقدمين — اقتصره على مناقشة المعنى المفرد  
 في البيت الواحد، وهدم التفاتته الى امكانية التجديد في الطريقة  
 والأسلوب<sup>(١)</sup>. بالاضافة الى عدم تحديده للمعاني المبدعة في الشعر،  
 وتفريقه بين الخاص والمشارك منها، وهذا ما دعا الدكتور مندور الى  
 القول بأن الأمر عنده لا يعدو من الناحية النظرية حدود التوجيه  
<sup>(٢)</sup>  
 العام.

---

(١) أنظر: النقد الجمالي وأثره في النقد العربي، ص ١٢٨ .  
 (٢) النقد المنهجي عند العرب، ص ٣٦٣ .

## الباب الرابع

### أثر كتابة الموازنة في الأدب العربي

## الباب الرابع أثر كتابة الموازنة في الأدب العربي

يستوي الآمدي على مرتبة رفيعة من الثقة والاكبار في نفوس  
النقاد العرب وبلاغيتهم ممن جاءوا بعده . وسنتناول بالبحث فيما يلي ،  
الناقلين عن كتاب "الموازنة" ومواضع تأثرهم بآراء الآمدي النقدية  
والبلاغية .

٠١ القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٩٢ هـ)

وكتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه"

ذوق القاضي الجرجاني الأدبي هو ذاته ذوق الآمدي ،  
ويلتقي معه في معظم القضايا النقدية والبلاغية ، وهو ان لم ينص صراحة  
على تأثره بكتاب "الموازنة" ولم ينقل نصوصا مباشرة عنه الا أن هنالك  
كثيرا من الدلائل التي تؤكد ذلك . ففي قول أبي تمام :

حلّت محل البكر من معطى وقد زفت من المعطى زفاف الأيم

يقول القاضي الجرجاني : " . . . فجعل الأيم مقابل البكر في التفسير ،  
والأيم قد تكون بكراء وانما هي التي لا زوج لها . . . فأما قول النسبي  
صلى الله عليه وسلم " الأيم أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن في

نفسها " فقد ذهب العراقيون فيه على ظاهر اللغة، فجعلوا الأيم عاما في  
 الثيب والبكر . . . وأبي أصحابنا ذلك، فذهب الشافعي الى أن المراد  
 بالأيم الثيب، وليس يحفظ منه، ولا يوجد في شيء من كتبه أن الأيم  
 والثيب عبارتان عن معنى واحد، فيجد العائب طريقا الى عيبه<sup>(١)</sup> . ويقول  
 القاضي الجرجاني محقبا على استطراده في التوضيح: "وانما نهذت نفسه  
 بهذا اقتضاها فصل أصبته لبعض من اعترض على أبي تمام جمع فيه بينه  
 وبين الشافعي في التكثير، ووازن بين قولهما في الخطأ، ولم أستحسن ما  
 يتسرع اليه أصحابنا من التصريح بمخالفة اللغة والتشبيث بالشواذ المردودة<sup>(٢)</sup> .  
 هذا وقد سبقت الإشارة الى تخطئة الآمدي أبا تمام والشافعي في لقطة  
 "الأيم"<sup>(٣)</sup> .

وفي قول أبي تمام:

ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعها لم يضق من أهلها بلد

يقول القاضي الجرجاني: "وهذا المعنى فاسد، لأنه جعل البلاد انمل  
 تضيق بأهلها لضيق الأرض، وأنها لو اتسعت اتسع صدره لم تضيق  
 البلاد . ونحن نعلم أن البلاد لم تخطط في الأصل على قدر سعة الأرض

(١) الوساطة ص ٧٩ .

(٢) نفس المصدر، ص ٨١ .

(٣) راجع ص ٦ ، هامش رقم ٤ من هذا البحث .

وضيقها، وأن الأرض تتسع لبلاد كثيرة، ولا تساع ما فيها من المدن أيضا، وهي على حالها، وإنما تؤسس وتبتدى على قدر الحاجة اليها، فإذا استقر بها الزمان وكثرت العمارة وظهر فيها ما يستدعي الناس اليها ضاقت... (١) وهذه المناقشة هي تلخيص لمناقشة الآمدي لهذا البيت (٢).

وفي قول أبي تمام:

من الهيف لو أن الخلاخل صيرت لها وشحا جالت عليها الخلاخل

يقول القاضي الجرجاني: "أراد وصفها بدقة الحضر، فوصفها بغاية القصر والضئولة... الخ المناقشة (٣) وقوله هذا تلخيص لمناقشة الآمدي للبيت (٤).

وفي قول أبي تمام:

وقد ظلمت عقبان أعلامه ضحى بعقبان طير في الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقاتل

هورد الجرجاني قول الأفوه الأودي:

وترى الطير على آثارنا رأي عين ثقة أن ستمار

(١) الوساطة، ص ٧٧.

(٢) الموازنة، ج ١، ص ١٩٤.

(٣) الوساطة، ص ٧٨.

(٤) الموازنة، ج ١، ص ١٤٣.

وقول النابغة:

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصاب طير تهتدي بعصائب

وقول حميد بن ثور:

إذا ما غدا يوما رأيت غمامة من الطير ينظرون الذي هو صانع

وقول أبي نواس:

تتأى الطير غـدوتـه ثقة بالشـيـع من جزـه<sup>(١)</sup>

والأبيات السابقة كلها موجودة في كتاب الموازنة وعلى نفس النسق<sup>(٢)</sup>.

أما أثر فكرة الموازنة بين الشعراء في جزئيات المعاني والتحرّج من الحكم العام - كما عند الآمدي - فنلمحه في موازنة القاضي الجرجاني بين قصيدتي المتنبّي وعبد الصمد بن المعذل في وصف الحمى . يقول الجرجاني بعد إيراده قصيدة عبد الصمد بن المعذل ما نصه : " وأنت - إذا قست أبيات أبي الطيب بها على قصرها ، وقابلت اللفظ باللفظ ، والمعنى بالمعنى ، وكنت من أهل البصر ، وكان لك حظ في النقد تبينت الفاضل من المفضول . فأما أنا فأكره أن أبت حكماً أو أفضل قضاءً ، أو أدخل بين هذين الفاضلين ، وكلاهما محسن مصيب .<sup>(٣)</sup>

(١) الوسطية، ص ٢٣٤، الم.

(٢) الموازنة، جاء ص ٦٢ .

(٣) الوسطية، ص ١٢٤ .

باب الاستعارة: يوافق الجرجاني الآمدي في تعريف الاستعارة، وملائمة  
المستعار للمستعار له، ويستحسن مثله بيت امرئ القيس في وصف الليل:  
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء<sup>(١)</sup> بكلكل

القياس في اللغة: ويتفق الجرجاني مع الآمدي في أن اللغة لا يقاس  
عليها، وأن القياس إنما هو برّد الفروع على الأصول، وأن الشواذ لا يصح  
اتخاذها أصلا يقاس عليه. يقول: "ولا تكاد تجد بابا من العربية يخلو من  
نوادير وشواذ، ولو جعلت أصولا وأجريت على حكم القياس لبطلت الأصول  
واختلط الكلام"<sup>(٢)</sup>. ويقول كذلك: "قد يجي عن العرب شواذ لا تجعل  
أصولا، ولا يلزم لها قياس، لأن ذلك لو ساغ واستمر لانقلبت اللغة"<sup>(٣)</sup>  
وانتقضت الحقائق".

السرقاات الشعرية: يوافق الجرجاني الآمدي في أن من سرق معنى من  
متقدم وحسنه كان أحق به<sup>(٤)</sup>. ويقر كذلك بوجود توارد الخواطر عند الشعراء  
كما أشار الآمدي<sup>(٥)</sup>. ويذهب القاضي الجرجاني كذلك إلى رأي الآمدي في

(١) الوساطة ص ٤٣١-٤٣٢، وانظر: الموازنة، ج ١، ص ٢٥٠.

(٢) الوساطة ص ٤٤٦.

(٣) نفس المصدر، ص ٤٥٣.

(٤) نفس المصدر، ص ١٨٨.

(٥) نفس المصدر، ص ٢١٤.

التمييز بين الخاص والعام من المعاني ، وأن الشاعر قد يرفع المعنى المتداول الذي تشترك فيه الجماعة وذلك بحسن التأليف ، وأنه قد ينفرد بلفظة تستعذب ، أو ترتيب يستحسن ، أو تأكيد يوضع موضعه ، أو زيادة اهتدى لها دون غيره ، فيبدو المشترك المبتذل من المعاني في صورة المبتدع<sup>(١)</sup> .  
المخترع .

النقد والطبع : عرض القاضي الجرجاني الى فضل المران والممارسة والتفرس بالاشعار بالاضافة الى مواتاة الطبع في خبرة الناقد الأدبي ، ووافق الآمدي في أن هنالك من وجوه الاستحسان للشعر ما تحيط به المعرفة ولا تؤديه الصفة ، وأن سبيل ذلك هو التسليم لعلماء الشعر بما يقولون . يقول الجرجاني : "ولو قيل لك كيف صارت هذه الصورة وهي مقصورة عن الأولى في الاحكام والصنعة ، وفي الترتيب والصيغة ، وفيما يجمع أوصاف الكمال ، وينتظم أسباب الاختيار أحلى وأرشق وأحظى وأوقع ؟ لأقت السائل مقام المتعنت المتجائف ، ورددته رد المستبهم الجاهل ، ولكان أقصى ما في وسعك ، وهاية ما عندك أن تقول : موفعه في القلب أطف ، وهو بالطبع أليق"<sup>(٢)</sup> . وأورد نسي

(١) الوساطة ، ص ١٨٦ .

(٢) نفس المصدر ، ٤١٢ .



ذلك قول الشافعي رضي الله عنه وقد مثل عن مسألة: "اني لأجد بيانها في قلبي، ولكن ليس ينطلق به لساني"<sup>(١)</sup>.

واضح مما تقدّم تأثر القاضي الجرجاني بآراء الأمدى النقدية وكتاب "الموازنة" وموافقه للأمدى في معظم القضايا النقدية بل وفي الذوق الأدبي أيضا .

٢ . أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري

(ت ٣٩٥ هـ) وكتاب الصناعتين

لم يصحّ أبو هلال بأخذ عن كتاب الموازنة، ولكنه بين أنه أخذ من المصادر المختلفة وكان له في ذلك فضل الاختصار والتوضيح قال: "وكل شيء استعرت من كتاب وضمنته إياه فاني لم أخله من زيادة تبسيين واختصار ألفاظ وغير ذلك مما يزيد في قيمته ويرفع من قدره"<sup>(٢)</sup> . وقد نقل أبو هلال عن كتاب الموازنة في مواضع كثيرة متفرقة، وقد لاحظ ذلك الأستاذ بدوي طبانة وأشار إلى أن كتاب الموازنة كان من بين المصادر التي لا بدّ وأن يكون أبو هلال قد قرأها بتفحص وامعان<sup>(٣)</sup> . وسنحاول فيما يلي كشف

(١) الوساطة، ص ٤٣٠ .

(٢) كتاب الصناعتين، ص ٤٦٣ .

(٣) بدوي طبانة، أبو هلال العسكري، ص ٧٣ .

النقاب عن مواضع النقل عن كتاب الموازنة والتأثر بآراء الآمدي فيها،

يلخص أبو هلال مناقشة الآمدي لبیت أبي تمام،

رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه بكفك ما ماريت في أنه برد

ويورد في ذلك قول النابغة والأخطل وأبي ذؤيب وهدي بن الرقاع تماماً على نفس الترتيب الذي ذكره الآمدي<sup>(١)</sup>.

ويورد أبو هلال مناقشة الآمدي لبیت أبي تمام،

من الهيف لو أن الخلاخل صيرت لها وشحا جالت عليها الخلاخل

ويستشهد على ذلك بنفس الأبيات التي أتى بها الآمدي وعلى نفس النسق<sup>(٢)</sup>.

وفي بیت أبي تمام،

ورحب صدر لو أن الارض واسمة كوسمه لم يضق عن أهله بلد

يأتي أبو هلال بمناقشة الآمدي التي أشرنا إليها سابقاً في بحث القاضي الجرجاني<sup>(٣)</sup>.

(١) كتاب الصناعتين، ص ١٢٠، وقابل، الموازنة، ج ١، ص ١٤٠، والجزء المخطوط، ص ١٢٣ ب.

(٢) كتاب الصناعتين، ص ١٢٠، وقابل، الموازنة، ج ١، ص ١٤٤.

(٣) نفس المصدر، ص ١٢٤، وانظر ص ١٢٠ هامش رقم ١ من هذا البحث.

وفي قول أبي تمام:

سأحمد نصرا ما حبيت وانسي لأعلم أن قد جل نصر عن الحمد

ينقل أبو هلال مناقشة الآمدي ويأتي بأبيات الشعر التي استشهد بها على نفس الترتيب<sup>(١)</sup> وينقل أبو هلال عن "الموازنة" في مواضع كثيرة غير هذه<sup>(٢)</sup>، ولكننا نكتفي بما أوردناه على سبيل المثال لا الحصر.

هذا عن مواضع النقل التي أخذها أبو هلال المسكري عن كتاب الموازنة والتي تثبت بما لا يقبل الشك اعتماده عليه. أما أثر آراء الآمدي النقدية والبلاغية عند المسكري فنسحاول أن نلم بها أو ببعضها فيما يلي:

أ- المصطلحات البلاغية: يأخذ أبو هلال بتعريفات الآمدي للمطابقة ويستشهد بأمثله ويعدل عن قول قدامة بن جعفر في ذلك<sup>(٣)</sup> ويأخذ أبو هلال كذلك برأي الآمدي في التجنيس ويستشهد بأمثله أيضا<sup>(٤)</sup> ويأتي بأمثلة على قبح التجنيس في شعر أبي تمام بما أوردته الآمدي في "الموازنة"<sup>(٥)</sup>.

(١) كتاب الصناعتين ص ١٢٤-١٢٥ وقابل "الموازنة" ج ١، ص ١٩٧.

(٢) راجع بعض هذه المواضع في:

كتاب الصناعتين ص ١٢٢ وقابل الموازنة ج ١، ص ١٥٣.

نفس المصدر ص ١٢٥ وقابل نفس المصدر ص ١٩٩.

نفس المصدر ص ١٢٦-١٢٧ وقابل نفس المصدر ص ٢٠١.

نفس المصدر ص ١١٩ وقابل الموازنة ج ٢، ص ٣٥٥.

نفس المصدر ص ٤٥٢ وقابل نفس المصدر ص ٢٩١.

(٣) كتاب الصناعتين ص ٣٠٧ وقابل الموازنة ج ١، ص ٢٧١.

(٤) كتاب الصناعتين ص ٣٢١-٣٢٢ وقابل الموازنة ج ١، ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٥) كتاب الصناعتين ص ٣٣٤ وقابل الموازنة ج ١، ص ٢٦٨.

ويأخذ أبو هلال بقول الآمدي في تعريف المعاطلة في الكلام وينكر تعريفات  
 قدامة<sup>(١)</sup> . وما تجدر الإشارة إليه أن أبا هلال يتبع الأسلوب الانتقائي في  
 النقل عن كتاب الموازنة، إذ نجده كثيرا ما ينقل آراء قدامة التي خالفها  
 الآمدي كالقول في الفضائل النفسية والتفريق بين المديح والثناء<sup>(٢)</sup> .

ب - السرقات الشعرية: يرى أبو هلال أن المتأخرين إذا زادوا حسن  
 تأليف المعاني وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها صاروا أحق بها ممن  
 سبق إليها<sup>(٣)</sup> . وهو في ذلك يوافق الآمدي في أن من كشف عن معنى وأوضحه  
 كان أحق به .

ويقول أبو هلال بسوء الأخذ والتقصير كما أشار الآمدي، يقول:  
 "وقبح الأخذ أن تعتمد إلى المعنى فتتناوله بلفظه كله أو أكثره"<sup>(٤)</sup> . ويورد فسي  
 ذلك مثال الآمدي<sup>(٥)</sup> .

وينقل أبو هلال معظم الأبيات التي استشهد الآمدي بها في باب  
 السرقات الشعرية<sup>(٦)</sup> .

- 
- (١) كتاب الصلاعتين ص ١٦٤ وقابل الموازنة جلد ١ ص ٢٧٦ - ٢٨١ .  
 (٢) كتاب الصناعتين ص ٩٨ (١٣) .  
 (٣) كلفي الخطار ص ١٤٦ - ١٤٩ .  
 (٤) نفس المصدر ص ٢٢٩ .  
 (٥) نفس المصدر ص ٢٣٣ وقابل الموازنة جلد ١ ص ٨١ .  
 (٦) كتاب الصناعتين ص ٢٠٥ وما بعدهاء وقابل الموازنة جلد ١ ص ١٩٦ - ٢٢٨ .

من ذلك يبدو أن أثر كتاب الموازنة عند أبي هلال العسكري في  
 "كتاب الصناعتين" كان كبيراً، وأن طائفة كبيرة من أمثلة الآمدي ومناقشاته  
 وآرائه مبنوثة في كتاب "الصناعتين".

٣٠ الشرف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) وكتابه

"الأمالي" و "طيف الخيال"

ينتج الشرف المرتضى معاني الآمدي في كتاب الموازنة  
 ويحاول أن ينقضها . وهو في كتابه "طيف الخيال" يتهم الآمدي بالدفاع عن  
 مساوي شعر البحتري والتحامل على أبي تمام<sup>(١)</sup> . ومما تجدر الإشارة إليه أن  
 الشرف المرتضى يقف من آراء الآمدي وتعليقاته موقف العداء والاعتراض .  
 ففي قول البحتري:

لا العذل يردعه ولا التـ حنيف عن كرم يصدّه

يقول الآمدي: "وهذا عندي من أهجى ما مدح به خليفة وأقبحه، ومن ذا  
 يعتف الخليفة على الكرم أو يصدّه، ان هذا بالهجو أولى منه بالمدح"<sup>(٢)</sup>.  
 ويرد الشرف المرتضى على ذلك بقوله: "وللبحتري في هذا عذر من وجهين:

(١) طيف الخيال، ص ٢٠.

(٢) الأمالي، ج ٤، ص ١٠، وقابل الموازنة ج ١، ص ٣٥٥.

أحدهما أن يكون الكلام خرج مخرج التقدير، فكأنه قال لو عتف وهذا لما صدّه ذلك عن الكرم وإن كان من حق العذل والتعنيف أن يصدّ أو يحجز عن الشيء . . . والوجه الآخر أن العذل والتعنيف وإن لم يتوجها إليه في نفسه فهما موجودان في الجملة على الاسراف في البذل، والجود بنفائس الأموال<sup>(١)</sup> .

وقد لاحظ الخفاجي بأن اعتراضات الشريف المرتضى على الآمدي يسودها طابع الافتعال، فقال: "ذهب الآمدي إلى فساد القسمة من قول أبي عبادة البحتري،

ولا يصدّ من ترك إحدى اثنتين أما الشباب وأما العمر

قال، "لأنها هنا قسما آخر، وهو أن يتركها معا فيموت الإنسان شابا" . وأجاب الشريف المرتضى رضي الله عنه عن ذلك: بأن المراد بترك الشباب تركه بالشيب، فمن مات شابا فلا يقال عنه أنه ترك الشباب لأنه لم يشب، وإنما يقال عنه أنه ترك العمر فدخل في أحد القسمين<sup>(٢)</sup> . ويقول الخفاجي: "ولي في هذا الموضع نظر وتأمل<sup>(٣)</sup> .

(١) الامالي، ج ٤، ص ١١١ .

(٢) لسر القضاة ص ٢٢٧ .

(٣) نفس المطدر والصفحة .

٤ . الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ)

وكتابه "العمدة"

ابن رشيق من أولئك الذين اطلعوا على كتاب الموازنة للآمدي وتأثروا به في تأليفهم . ففي باب الابتداءات يقول ابن رشيق :  
 " وكان أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي يفضل ابتداءات البحري جدا ،  
 وهو الذي وضع كتاب الموازنة والترجيح بين الطائيين ، ونوّه فيه بالبحري  
 أعظم تنويه <sup>(١)</sup> . وفي باب البديع يقول : " فقد رأيت ما صنع به ابن المعتز ،  
 وكيف قال ابن قتيبة ، وما ألف عليه المتعقبون كالجرجاني وأبي القاسم  
 ابن بشر الآمدي وغيرهما <sup>(٢)</sup> .

ومما تأثر به ابن رشيق من آراء الآمدي في البلاغة متابعتة  
 لتعريف الآمدي في الطباق والجناس <sup>(٣)</sup> ويردّ ابن رشيق على الآمدي  
 تخطئته لبيت البحري :

هجرتنا يقظى وكادت على منذ هبها في الصدود تهجروسي  
 ويقول ابن رشيق معقبا : " وأنا أقول : ان مراده أنها لشدة هجرها له ونحوها  
 عليه لا تراه في المنام إلا مهجورا ، ولا تراه جلة ، فالعنى حينئذ صحيح لا فساد  
 فيه ولا غلط <sup>(٤)</sup> .

(١) العمدة ج١ ، ص ٢٣٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٨٥ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٢٢ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٤٧ ، وقابل الموازنة ج١ ، ص ٣٥٣ .

٥. أبو محمد عبد الله بن سنان الخفاجي الحلبي

(ت ٤٦٦ هـ) وكتابه "سر الفصاحة"

ينظر الخفاجي الى الآمدي نظرة اعجاب واكبار ، وينقل عنه في مواضع كثيرة ، ويتابعه في آرائه النقدية والبلاغية ولا يكاد يخالفه الا في القليل النادر .

يبدأ الخفاجي كلامه عن النقد والبلاغة بالشكوى من قلة العارفين بصناعتها "مع كثرة من يدعي ذلك، ويتحلّى به ، وينتسب الى أهله ، ويمارى أصحابه في المجالس"<sup>(١)</sup> . ويقول ، "قد كنت أظن أن هذا شيء قصور على زماننا اليم ومعروف في بلادنا هذه حتى وجدت هذا الداء قد أعيا أبنا القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، وأبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قبله ، وأشكاهما حتى ذكراه في كتبهما"<sup>(٢)</sup> . وسنحاول فيما يلي تتبع المواضع التي نقل الخفاجي فيها عن الآمدي من كتاب الموازنة مصرّحاً بذلك أو غير مصرّح .

أ- الوجيه من الألفاظ . يوافق الخفاجي أبا القاسم الآمدي في أن استكراه الوجيه من الألفاظ حاصل لسببين :

(١) سر الفصاحة ص ٥٩-٦٠ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٦٠ .



أولاهما ، قبح اللفظة ذاتها

وثانيهما ، قبح اللفظة اذا وقعت ناعرة في غير موضعها .<sup>(١)</sup>

ويأتى ويأتي الخفاجي بمد ذلك بأمثلة الآمدي .<sup>(٢)</sup>

بـ أغاليط أبي تمام ، يأتي الخفاجي بأمثلة على أغلاط أبي تمام في معانيه ، ومعظم هذه الأمثلة والتعليقات التي عليها مأخوذة من كتاب الموازنة . ففي قول أبي تمام ،

طلل الجميع لقد عفوت حميدا وكفى على رزى بهذاك شهيدا

يورد الخفاجي مناقشة الآمدي للبيت ويقول ، "وهل هذا حمل أبو القاسم الآمدي قول الطائي الكبير"<sup>(٣)</sup> . وينوّه الخفاجي بدقّة نظر الآمدي في ذلك فيقول ، "وهذا الذي ذكره الشيخ أبو القاسم رحمه الله قول مثله من يتقدم في هذا العلم ، ودقيق النظر فيه وكشف أسرار"<sup>(٤)</sup> .

وفي قول أبي تمام ،

جلّيت والموت بمد حرّ صفحتي وقد تفرعن في أفعاله الأجل

- 
- (١) سر الفصاحة ، ص ٣٦٤ .  
 (٢) نفس المصدر ص ٦٦ ، ٦٣ ، وقابل الموازنة ج ١ ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٦ .  
 (٣) سر الفصاحة ص ١٠٦ - ١٠٧ ، وقابل الموازنة ج ١ ، ص ٢٠٦ .  
 (٤) سر الفصاحة ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

يوافق الخفاجي الآمدي في أن لفظة "تفرعن" مشتقة من اسم  
 فرعون وهو من ألفاظ العامة <sup>(١)</sup> ويستشهد الخفاجي في معنى كلمة "الأم" <sup>(٢)</sup>  
 بأمثلة الآمدي ويضيف قوله : "وقد حكى ابن بعض كبار الفقهاء لوهيسو  
 محمد بن ادريس الشافعي غلط في ذلك" <sup>(٣)</sup> . ويأتي الخفاجي كذلك بمناقشة  
 الآمدي لمعنى لفظة "صلف" والتي وردت في بيت لأبي تمام يصف فيه  
 الفرس <sup>(٤)</sup> .

ج - عيوب الشعراء : وهو في ذلك يتتبع ما أتى به الآمدي في كتاب  
 الموازنة في باب ما عيب على الشعراء ، وهذه العيوب هي ملاحظات عابرة  
 جمعها الآمدي لكثير من الرواة والشيخ وأهل اللغة وكثيرا ما كان يضيف  
 عليها شرحه وتعليقاته . ويأتي الخفاجي بأمثلة الآمدي وتعليقاته بعد أن  
 يختتمها أحيانا بعبارات الاستحسان والثناء <sup>(٥)</sup> .

- (١) سر الفصاحة ص ٦٩ ، وقابل الموازنة ج ١ ص ٢٢٧ والجزء المخطوطه  
 ص ١٩٤ .  
 (٢) سر الفصاحة ص ٧٣ ، وقابل الموازنة ج ١ ص ١٦١ .  
 (٣) سر الفصاحة ص ٧٣ - ٧٤ ، وقابل الموازنة ج ١ ص ٢٣٤ والجزء المخطوط  
 ص ١١٢ .  
 (٤) لاحظ ذلك في :  
 سر الفصاحة ص ٢٤٨ ، وقابل الموازنة ج ١ ص ٣٦ .  
 سر الفصاحة ص ٢٤٨ ، وقابل الموازنة ج ١ ص ٣٧ .  
 سر الفصاحة ص ٢٤٨ ، وقابل الموازنة ج ١ ص ٣٥٥ .  
 سر الفصاحة ص ٢٤٩ ، وقابل الموازنة ج ١ ص ٤٠ .  
 سر الفصاحة ص ٢٤٩ ، وقابل الموازنة ج ١ ص ١٣٨ .  
 سر الفصاحة ص ٢٤٩ ، وقابل الموازنة ج ١ ص ١٦٧ .  
 سر الفصاحة ص ٢٥٠ ، وقابل الموازنة ج ١ ص ١٨٤ .  
 سر الفصاحة ص ٢٣٤ ، وقابل الموازنة ج ١ ص ٣٣٦ .

د - الاستعارات: يوافق الخفاجي رأى الآمدي في الاستعارة، وينحو منحاه في تفسير الأبيات القرآنية التي تشتمل عليها<sup>(١)</sup>، لكنه يقف من استحسان الآمدي لبعض الاستعارات في الشعر موقف المعارض. ففسي اختيار أبي القاسم الآمدي لببيت امرئ القيس:

فقلت له لما تملّى بصلبـه وأردف أعجازا ونا<sup>٢</sup> بكلـكل

كمثال على الاستعارة المتناسبة يقول الخفاجي: "وهذا الذي قال أبو القاسم لا أرضى به غاية الرضى، ولو كنت أسكن الى تقليد أحد من العلماء بهذه الصناعة أو أجنح الى اتباع مذهبه من غير نظر وتأمل لم أعدل عما يقوله أبو القاسم لصحة فكره وسلامة نظره وصفاء ذهنه وسعة علمه، لكنني أغلب الحق عليه ولا أتبع الهوى فيما يذهب اليه، وببيت امرئ القيس عندي ليس من جيد الاستعارة ولا رديثها بل هو من الوسط بينهما"<sup>(٢)</sup>.

وواضح من تعليق الخفاجي وتعظيمه للآمدي وتنويهه بعلمه أنه (أي الخفاجي) تد درس مؤلفات الآمدي وتأثر بها واعتمدها في مؤلفه "سر الفصاحة".

(١) سر الفصاحة ص ١١١، ص ١٣٤، ص ١٣٧، ص ١٣٨ وقابل: الموازنة ج ١، ص ٢٦١، ص ٢٨٨، والموازنة ج ٢، ص ٣٢٥ على نفس الترتيب.  
(٢) سر الفصاحة ص ١١٤، وأنظر: كتاب "حسن التوسل" ص ٣٥، وقابل: الموازنة ج ١، ص ٢٥٠.

ومن دلائل هذا التأثير أيضا تبني الخفاجي لمصطلحات الآمدي البلاغية . ففي باب المعاطلة يعيب الخفاجي تفسير قدامة لهذه اللفظة ويأتي بأمثلة الآمدي في الرد عليه ثم يعقب على ذلك بقوله : " وهذا الذي ذكره أبو القاسم رحمه الله صحيح ويجب أن يقتدي به في هذا الباب ، وقد بين المعاطلة ، وفرق بينها وبين غيرها من الميوب بالتمثيل السدي ذكره <sup>(١)</sup> " وينتصر الخفاجي لآراء الآمدي في الجنس والطباق ويعيب على قدامة مصطلحاته ، ولم يكشف بذلك بل أورد النص التالي في توثيق تفسيرات الآمدي قال : " حكى أبو علي محمد بن المظفر الحاتمي عن أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني قال : قلت لأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش : أجد قوما يخالفون في الطباق فطائفة تزعم وهي الأكثر ، أنه ذكر الشيء ، وطائفة تخالف في ذلك وتقول : هو اشتراك المعنيين في لفظ واحد . فقال : من هو الذي يقول هذا ؟ قلت قدامة . فقال : هذا يا بني هو التجنيس من زعم أنه طباق فقد ادعى خلافا على الخليل والأصمعي ، فاتفق الأخفش والآمدي على مخالفة أبي الفرج في التسمية <sup>(٢)</sup> . وأنكر الخفاجي على قدامة بن جعفر تعريفه المدح بأنه ذكر

(١) سر الفصاحة ، ص ١٨٥ ، وقابل الموازنة ، ج ١ ، ص ٢٢٥ .

(٢) سر الفصاحة ، ص ١٨٩ ، وانظره ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب ، ص ٦٩ ، وانظر كذلك " حسن التوسل " ، ص ٦٧ - ٦٨ ، وأبو الفرج = كنية قدامة .

الفضائل النفسية وأتى بانكار الآمدي لذلك<sup>(١)</sup>.

هـ - صناعة الشعر ونقده : يأتي الخفاجي بأمثلة الآمدي في أن صناعة الشعر كغيرها من الصناعات لا تجود وتمتلك إلا بأربعة أشياء وهي : جودة الآلة ، واصابة الغرض والقصد ، وصحة التأليف ، والانتهاج الى تمام الصنعة من غير نقص ولا زيادة عليها<sup>(٢)</sup> . ويشرح الخفاجي هذه الأحكام على غرار شرح الآمدي لها<sup>(٣)</sup> .

ويوافق الخفاجي الآمدي في أن الدرية بعد مواجاة الطبع وتأمل الأشعار الكثيرة والكلام المؤلف على طول الوقت وتراخي الأزمنة هي السبيل الى الخبرة بالشعر ونقده<sup>(٤)</sup> .

من ذلك يبدو بيّنا اعتماد الخفاجي كتاب الموازنة ، واتخاذ من أجزائه أصولاً بني عليها تفاريق ، وأحكاماً عامة توسع لها بالشواهد والأمثلة

(١) سر الفصاحة ، ص ٢٥٠ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٨٥ - ٨٨ ، وقابل : الموازنة ج ١ ، ص ٤٠٢ .

(٣) الموازنة ، ج ١ ، ص ٤٠٢ - ٤٠٣ .

(٤) سر الفصاحة ، ص ٨٨ ، وقابل الموازنة ج ١ ، ص ٣٨٨ - ٣٩٦ .

٠٦ الامام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) وكتابه  
"أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز"

للآمدي في نفس الامام عبد القاهر احترام وتعظيم، وهو  
يتخذ من أقواله حججا يرجع اليها ويستشهد بها . ومن مواضع اعجاب  
الامام عبد القاهر بالآمدي تفرقه بين الاستعارة والحقيقة في ألفاظ  
اللغة . يقول : "قال أبو القاسم الآمدي في قول البحتري :

فصاغ ما صاغ من ثبر ومن ورق      وحاك ما حاك من وشي ود يياج

صوغ الغيث وحوكه النبات ليس باستعارة بل هو حقيقة، ولذلك لا يقال  
"هو صائغ" ولا "كأنه صائغ" وكذلك لا يقال "حائك" وكأنه حائك"<sup>(١)</sup> .  
ويمعجب الجرجاني من استدلال الآمدي على ذلك بامتناع أن يقال "كأنه  
صائغ" و"كأنه حائك" ثم يقول : "أعلم أن هذا كأحسن ما يكون"<sup>(٢)</sup> .

ويتخذ الجرجاني من تعريفات الآمدي مصطلحات ثابتة في البيان  
والبديع . فهو يستشهد بأقوال الآمدي في تحديد أقسام البديع يقول :  
"قال الآمدي نفسه ، ثم قد يأتي في الشعر ثلاثة أنواع آخر يكتسي المعنى

(١) أسرار البلاغة ص ٣٥٢ ، وانظر : دلائل الإعجاز ج ٢ ص ١٩٦-١٩٧  
وقابل : الموازنة ج ١ ص ٩٨ .  
(٢) أسرار البلاغة ص ٣٥٣ .

العام بها بها، وحسنا حتى يخرج بعد عمومه الى أن يصير مخصوصا .  
ثم قال : وهذه الأنواع هي التي وقع عليها اسم البديع وهي الاستعارة  
والمطباق والتجنيس . فهذا نص صريح في موضع القوانين على أن  
الاستدرة من أقسام البديع<sup>(١)</sup> .

واضح مما سبق اعجاب الامام عبد القاهر بالآمدي واحتجاجه  
بكلامه ، وبين كذلك تأثيره بآراء الآمدي في النقد والبلاغة .

#### ٠٧ الخطيب التبريزي (ت ٥١٢ هـ) وشرحه ديوان أبي تمام

اعتمد الخطيب التبريزي كتاب الموازنة عند شرحه لديوان  
أبي تمام وهو ينقل عنه في مواضع متفرقة، ويميل الى آراء الآمدي فيها .  
ففي قول أبي تمام :

هن عوادي يوسف وصواحيه فعزما فقدما أدرك السؤل طالبه .

يورد التبريزي مناقشة الآمدي لهذا البيت ثم يقول : "ولفظ أبي تمام يدل أيضا  
على ما قدره الآمدي من معنى البيت بالألفاظ التي ذكرها اذا رجعت الى  
الحقيقة"<sup>(٢)</sup> . وهذا على سبيل المثال .

(١) أسرار البلاغة، ص ٣٧٠-٣٧١، وقابل الموازنة، ج ١، ص ٣٧٢ .  
(٢) ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، ج ١، ص ٢٢٤، وقابل الموازنة  
ج ٢، ص ١١٧ .

٨٠ المبارك بن أحمد الأريلي المعروف بابن المستوفى  
(ت ٦٣٧ هـ) وكتابه "النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام"

رغم تعصب ابن المستوفى على الآمدي وزعمه بأن الآمدي  
 كان يري في شعر أبي تمام أبياتاً مفسودة ليردّها عليه<sup>(١)</sup>،  
 يستصوب آراء الآمدي في المناقشة والشرح في مواضع كثيرة، منها تعليق  
 الآمدي على بيت أبي تمام:

جهمة الأوصاف إلا أنهم قد لقبوها جوهراً الأشياء

فقد نقل ابن المستوفى كلام الآمدي، وأورد في ذلك كلام الصولي  
 والمرزوقي وأبي الملا المعري وغيرهم، ثم عقب على ذلك بقوله:  
 "والصحيح ما قاله الآمدي ٠٠٠ وهذا البيت مما عهدتهم يفيضون فيه  
 وفي تفسيره فلا يصح إلا بالحدس والظن"<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ديوان أبي تمام، شرح التبريزي ج ١، ص ٣٤٨-٣٤٩ (الحاشية)،  
 وأنظر ص ٤٦٣ (الحاشية) من الجزء نفسه.  
 (٢) ديوان أبي تمام، شرح التبريزي ج ١، ص ٣٦-٣٧، وقابل الموازنة،  
 الجزء المخطوط، ص ٤٥٠.



٠٩ أبو الفتح ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٢هـ)

وكتابه "المثل السائر"

ينوه ابن الأثير بكتاب الموازنة ويراها أجل الكتب النقدية والبيان التي يمكن أن ينتفع بها يقول: "٠٠٠ فان علم البيان لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للأحكام وأدلة الأحكام، وقد ألف الناس فيه كتباً، وجلبوا ذهباً وخطباء، وما من تأليف الا وقد تصفحت شينه وسينه، وعلمت غثه وسينه، فلم أجده ما ينتفع به في ذلك الا كتاب الموازنة لأبسي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، وكتاب "سر الفصاحة" لأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي، غير أن كتاب الموازنة أجمع أصولاً، وأجدي محصولاً<sup>(١)</sup>، ويضيف ابن الأثير قوله في موضع آخر من كتاب المثل السائر في تعظيم الآمدي ووزارة علمه: "كان أثبت القوم قدماً في فن الفصاحة والبلاغة، وكتابه المسوس بـ "الموازنة بين الطائيين" يشهد بذلك"<sup>(٢)</sup>، وفيما يلي تلخيص لبعض النقاط التي يلح أثر آراء الآمدي فيها:

١- الاستعارات: يأتي ابن الأثير بشرح الآمدي للاستعارات التي جاءت في القرآن الكريم من مثل (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار)<sup>(٣)</sup> وقوله

(١) المثل السائر، ج١، ص ٣-٤.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٨٤.

(٣) نفس المصدر، ص ٤٠٠، وقابل الموازنة ج١، ص ٢٥٣.

تعالى : ( واشتعل الرأس شيباً )<sup>(١)</sup> .

٢- القياس في اللغة: يذهب ابن الأثير الى رأي الآمدي في ضرورة التقيد بأصول اللغة وإهمال الشوارد يقول: "نحن لا نحكم على الشاذ النادر الخارج... الاعتدال، بل نحكم على الكثير الغالب"<sup>(٢)</sup> .

٣- نقد الشعر: يوافق ابن الأثير الآمدي في أن ملك البصر بالمنظوم والنثر هو الاستعداد الفطري والطبع المؤاتي، وأنه إذا لم يكن ثمة طبع فإنه لا تخفي آلات البيان شيئاً . ويذهب الى رأيه في أن طبائع الناس تتفاوت في قدرتها على النفاذ في المسموع<sup>(٣)</sup> .

٤- المصطلحات البلاغية: يخطئ ابن الأثير قول قدامة في تعريف المعاطلة في الكلام ويبين خطأ أمثلته، ويأتي بأثلة الآمدي وتعريفه<sup>(٤)</sup> . وفي باب الطباق يقول: "وقد أجمع أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده... وخالفهم في ذلك قدامة بن

(١) المثل السائر ج١ ص ٤٠٠، وقابل: الموازنة، ج١ ص ٢٥٣ .

(٢) المثل السائر، ج١ ص ١٥٠ .

(٣) نفس المصدر، ص ٨ .

(٤) نفس المصدر، ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

جعفر الكاتب<sup>(١)</sup> ويرى ابن الأثير أن الأليق من جهة المعنى تسمية هذا النوع بالمقابلة لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين، أما أن يقابل الشيء بضده، أو يقابل بما ليس بضده وليس لنا وجه ثالث<sup>(٢)</sup>، وكان الآمدي قد قال في حقيقة الطباق: "أما هو مقابلة الشيء بمثل الذي هو على قدره، فسموا المتضادين، - إذا تقابلا - متطابقين"<sup>(٣)</sup>، ولا خفاء بتأثر ابن الأثير بتعريف الآمدي في الطباق.

وتنتهي المؤلفات النقدية والبيلافية بعد ابن الأثير إلى حالة من الانحطاط والجمود، ولا يعد لمؤلفيها من فضل أكثر من تلخيص المصادر وجمع الروايات كما نلاحظ ذلك عند ابن أبي الأصبح المصري (ت ٦٥٤ هـ) وعبد الرحم العباسي (ت ٩٠١ هـ) صاحب كتاب "معاهد التنصيص".

(١) المثل السائر، ج ١، ص ٢٧٩.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٨٠.

(٣) الموازنة، ج ١، ص ٢٧٢.

## الخاتمة

لم تكن للبحثري — كما يبدو — الامكانيات الكافية لتحرير أفق تفكيره وبالتالي تطوير أحاسيسه ومشاعره حتى يتفهم متطلبات عصره الذي تعقّدت فيه الحياة وتطوّرت الحضارة ونمت الفلسفة وازدهرت العلوم، لهذا ظلّ أبو عبادة متمسكا بعمود الشعر والأنماط الشعرية المألوفة فنال ~~اهجـ~~ الحافظين الذين لا يروق لهم أي تجديد . أما أبو تمام، على النقيض من البحثري، فالظاهر أنه قد أتيحت له، بفضل سعة اطلاعه وعمق دراسته وبعد فراسته، فرص أوسع لتفهم حاجات عصره وتطلّعاته للمستقبل، فتجاوب مع مقتضيات الحال في زمانه حتى عدّ ذلك افراطا أحيانا، وصعب على من لا يروق لهم أي تجديد ادراك تلك القفزات المصلاقة واتهموه بالتعقيد وفساد الذوق والابتعاد عن الروح الشاعرية الأصلية لا شيء إلا لمحاولاته التجديد في بعض أنماط التعابير المألوفة .

ومن الواضح الجليّ أن الآمدي كان ينصف أبا تمام فيما وقع من شعره ضمن عمود الشعر، ولكن نظرة الآمدي المحافظة ومقاييسه الضيقة قصّرت به عن فهم شعر أبي تمام وتذوقه مما أفقد أحكامه النزاهة والاعتزان وحم من التوصل الى نتائج جيّدة وأحكام دقيقة . ولولا نظرته تلك لرجونا أن ينصف أبا تمام ومن الجائز أن يكون من أنصاره، لكن محافظته دفعته — شعر أم لم يشعر — الى أن يصدر أحكاما جائرة بحق الفنان المبدع والشاعر العبقرى أبي تمام الطائي .

### ثبت المراجع العربية والمترجمة

١. الآمدى، أبو القاسم، الموازنة (تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر ١٩٦١ - ١٩٦٥).
٢. الآمدى، أبو القاسم، ميكروفيلم مصور عن نسخة دار الكتب المصرية في ثلاثة أجزاء.
٣. الآمدى، أبو القاسم، الموازنة (الجزء المخطوط، مصور عن نسخة كبير دج).
٤. الآمدى، أبو القاسم، المؤلف والمختلف (تحقيق عبد الستار فراج، دار احيا التراث العربية - القاهرة ١٩٦١).
٥. الآمدى، أبو القاسم، المؤلف والمختلف (تحقيق كرنكو - مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٤ هـ).
٦. ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين، المثل السائر (مطبعة البابي الحلبي، مصر ١٩٣٤).
٧. أحمد أمين، النقد الأدبي (الطبعة الثانية - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٧).
٨. ابن أبي الاصبغ المصري، بديع القرآن (الطبعة الاولى، مطبعة الرسالة، مصر ١٩٥٧).
٩. الاصفهاني، أبو الفرج، الأغاني (دار الثقافة، بيروت ١٩٦٠).
١٠. الألوسي، محمود شكرى، بلوغ الأرب (الطبعة الرحمانية، مصر ١٩٢٤).

- ٠ ١١ ابن الأنباري، أبو البركات، نزهة الألباء (مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩).
- ٠ ١٢ البغدادي، اسماعيل باشا، هدية العارفين (مطبعة المعارف، استانبول، ١٩٥١).
- ٠ ١٣ البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار العصور للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٢٩).
- ٠ ١٤ بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي (ترجمة عبد الحليم نجارة، ج ٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦١).
- ٠ ١٥ أبو تمام، حبيب بن أوس، ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، دار المعارف بمصر، ١٩٥١-١٩٥٢.
- ٠ ١٦ التوحيد، أبو حيان، الامتاع والموانسة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٩-١٩٤٤).
- ٠ ١٧ الثعالبي، أبو منصور، يتيمة الدهر (الجزء الثالث، المطبعة الحفنية، دمشق ١٣٠٤ هـ).
- ٠ ١٨ ثلاث رسائل في اعجاز القرآن (تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر).
- ٠ ١٩ الجاحظ، أبو عثمان، البهائم والتهيين (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٨).
- ٠ ٢٠ الجاحظ، أبو عثمان، كتاب الحيوان (مطبعة الحلبي، مصر، ١٩٣٨-١٩٤٥).

٢١. الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة (تحقيق هـ. ريتز، مطبعة وزارة المعارف، استانبول ١٩٥٤).
٢٢. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز (تحقيق محمد بن تاووت، المعهد الديني العالي، تطوان).
٢٣. الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة (الطبعة الثالثة، دار احياء الكتب العربية، مصر ١٩٥١).
٢٤. ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر (تحقيق بونيباكر، مطبعة بريل، لندن ١٩٥٦م).
٢٥. الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، (دار المعارف للطباعة والنشر، مصر ١٩٥٢).
٢٦. ابن الجوزي، أبو الفرج، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (الطبعة الاولى، مطبعة دار المعارف المثمانية، حيدر آباد، ١٣٥٨هـ).
٢٧. حاجي خليفة، مصطفى، كشف الظنون (وكالة المعارف، استانبول، ١٩٤١).
٢٨. الحاني، ناصر، النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي (مطبعة بغداد، بغداد ١٩٥٥م).
٢٩. ابن حجة الحموي، تقي الدين، خزانة الأدب (الطبعة الاولى، المطبعة الرحمانية، مصر ١٩٣٢).
٣٠. الحريري، القاسم بن علي، درة الخواص (الطبعة الأولى، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٢٩٩هـ).

- ٠٣١ الحصري، أبو اسحق، زهر الآداب (الجزء الثالث، المطبعة  
الرحمانية، مصر ١٩٢٧) .
- ٠٣٢ الحلبي، شهاب الدين، حسن التوسل الى صناعة التوسل،  
(مطبعة هندية بمصر، ١٣١٥هـ) .
- ٠٣٣ الخفاجي، شهاب الدين، طراز المجالس (المطبعة الوهبية  
مصر ١٢٨٤هـ) .
- ٠٣٤ الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة (الطبعة الأولى، المطبعة  
الرحمانية، مصر ١٩٣٢) .
- ٠٣٥ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (مطبعة السعادة، مصر  
١٩٣١م) .
- ٠٣٦ ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة (مطبعة بولاق القاهرة  
١٢٨٤هـ) .
- ٠٣٧ ابن خلكان، شمس الدين، وفيات الأعيان (مطبعة السعادة  
مصر ١٩٤٨) .
- ٠٣٨ الخوانساري، محمد باقر، روضات الجنات (طهران ١٣٢٧هـ) .
- ٠٣٩ الزبيدي، أبو بكر، طبقات النحويين واللفظيين (الطبعة الأولى  
مطبعة الخانجي، مصر ١٩٥٤م) .
- ٠٤٠ الزركلي، خير الدين، الأعلام (الجزء الثاني، الطبعة  
الثانية، مطبعة كوستانوماس وشركاه، ١٩٥٤م) .



- ٠٤١ المتكافي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، المطبعة الميمنية، مصر  
١٣١٨ هـ.
- ٠٤٢ السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم، كتاب الأنساب (لندن، بريل  
١٩١٢ م).
- ٠٤٣ السيوطي، جلال الدين، بنية الحياة (مطبعة السعادة مصر  
١٣٢٦ هـ).
- ٠٤٤ السيوطي، جلال الدين، شرح شواهد المغني (المطبعة البهية  
مصر، ١٣٢٢ هـ).
- ٠٤٥ الصايغ، هلال بن المحسن، تحفة الأمراء (طبعة الآباء  
اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٤).
- ٤٦ الصولي، أبو بكر، أخبار البحري (المجمع العربي بدمشق  
١٩٥٨ م).
- ٠٤٧ الصولي، أبو بكر، أخبار أبي تمام (مطبعة لجنة التأليف  
والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧ م).
- ٠٤٨ ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي (الطبعة  
الاولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٣).
- ٠٤٩ طبانة، بدوي، أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية (مطبعة  
مخير، مصر ١٩٥٢).
- ٠٥٠ أبو الطيب اللخوي، عبد الواحد، مراتب النحويين (مطبعة  
نهضة مصر، ١٩٥٥ م).

٥١. العباسي، عبد الرحيم، معاهد التنصيص (المطبعة البهية مصر، ١٣١٦هـ).
٥٢. العسكري، أبو هلال، ديوان المعاني (مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٢هـ).
٥٣. العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين (دار احيا' الكتب العربية، مصر ١٩٥٠م).
٥٤. العلوي، السيد جعفر، مواسم الأدب (الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، مصر ١٣٢٦هـ).
٥٥. غريب، روز، النقد الجمالي وأثره في النقد العربي (دار العلم للملايين، بيروت ١٩٥٢).
٥٦. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء (الجزء الأول، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤م).
٥٧. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب (الطبعة الثالثة، مطبعة السعادة، مصر ١٩٥٨م).
٥٨. القحطي، جمال الدين، انباه الرواة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٠م).
٥٩. القيرواني، ابن رشيقي، العمدة (الطبعة الثانية، مطبعة السعادة، مصر ١٩٥٥م).
٦٠. ابن كثير، عماد الدين، البداية والنهاية (الجزء الحادي عشر، مطبعة السعادة، مصر ١٣٥٨هـ).

- ٦١ • كراتشكوفسكي، اغناطيوس، دراسات في تاريخ الأدب العربي  
(ترجمة محمد المعصراني وزملائه، دار النشر، موسكو  
١٩٦٥م).
- ٦٢ • المرتضى، الشريف علي بن الحسين، الأمالي (مطبوعة  
السعادة، مصر ١٩٠٧م).
- ٦٣ • المرتضى، الشريف علي بن الحسين، طيف الخيال (دار  
أحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٦٢م).
- ٦٤ • المرزباني، أبو عبيد الله، معجم الشعراء (مكتبة القدسي  
مصر، ١٣٥٤هـ).
- ٦٥ • المرزباني، أبو عبيد الله، الموشح (دار نهضة مصر ١٩٦٥).
- ٦٦ • المرزباني، أبو عبيد الله، نور القيس المختصر من المقتبس،  
اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد الحافظ اليفوري  
تحقيق رودلف زلهام فيسبادن، ستاينر، ١٩٦٤.
- ٦٧ • المرزوقي، أبو علي، شرح كتاب الحطاسة (الجزء الأول)، الطبعة  
الأولى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة  
١٩٥١.
- ٦٨ • ابن المعتز، أبو الحباس عبد الله، البديع (نشر كراتشكوفسكي،  
مطبعة لوزاك، لندن ١٩٣٥).
- ٦٩ • ابن المعتز، أبو الحباس عبد الله، رسائل ابن المعتز (جمع  
محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، مطبعة  
الحلبي، مصر ١٩٤٦م).

٧٠. ابن المعتز، أبو العباس عبد الله، طبقات الشعراء (دار  
المعارف، مصر ١٩٥٦م).
٧١. المعتزلي، عبد الجبار، المغني (الطبعة الأولى، ط ٠ دار  
الكتب المصرية، ١٩٦٠م).
٧٢. مندور، محمد، النقد المنهجي عند العرب (دار نهضة  
مصر للطبع والنشر).
٧٣. ناصيف، مصطفى، نظرية المعنى في النقد العربي (مطبعة دار  
القلم، القاهرة، ١٩٦٥م).
٧٤. ابن النديم، محمد بن اسحق، الفهرست (تحقيق غوستاف  
فلوجل، مكتبة خياط، بيروت ١٩٦٤م).
٧٥. هايم، ستانلي، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، الجزء  
الأول (ترجمة عباس ونجم، بيروت ١٩٥٨م).
٧٦. مدارة، محمد مصطفى، مشكلة السرقات في النقد العربي،  
(الطبعة الأولى، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر،  
١٩٥٨م).
٧٧. الهمداني، محمد بن عبد الملك، تكملة تاريخ الطبري (الطبعة  
الأولى، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٩م).
٧٨. وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة (الطبعة الرابعة، مكتبة  
نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧م).
٧٩. ياقوت الحموي، شهاب الدين، معجم الأدباء (مطبوعات دار التأمين) ١٩٣٦ - ٣٨
٨٠. ياقوت الحموي، شهاب الدين، معجم البلدان، الجزء الأول،  
(بيروت، ١٩٥٥م).

### المراجع الاجنبية

1. Brower : On Translation (Harvard University Press, USA, 1959).
2. Eliot, T.S. : On Poetry and Poets (Faber and Faber, London, 1956).
3.                      : The Use of Poetry and The Use of Criticism (Faber and Faber, London, 1933).
4. Empson, William; The Structure of Complex Words (Chatto and Windus, London, 1952).
5.                      : Encyclopaedia of Islam (Vol.I, Brill, Lyden, 1913).
6. Leavis, F.R. : The Common Pursuit (Chatto and Windus, London, 1958).
7. Reeves, James : The Critical Sense (Heine Mann Educational Books, London, 1964).
8. Richards, I.A. : Practical Criticism (10th ed. Routledge, London, 1956).
9. " " : Principles of Literary Criticism (15th ed. Routledge, London, 1959).
10.                      : Style In Language (edited by Sebeok, Thomas - The Technology Press of Massachusetts Institute, USA, 1960).
11. Vendryes, J. : Language (Trnaslated by Radin, Paul-Lund Humphries, London, 1959).